



تعلم المعلم طرق التعلم

تأليف

الإمام برهان الإسلام «الزرنوخي»
تلميذ صاحب المداية

عن بشرحه وضبط الفاظه

عبد العزيز حصر شاهين

أحد علماء ومدرسي الأزهر الشريف

الناشر

كتبي كتب خانة

مقابل آرائهم باللغة الإنجليزية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لِهِ الَّذِي فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجمِ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ يَتَابِعُ الْعُلُومِ
وَالْحِكْمَ (وَبَعْد) فَلِمَا رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْ طُلَابِ الْعِلْمِ فِي زَمَانِنَا يَجِدُونَ إِلَى
الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُونَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَثَرَاتِهِ يُحْرَمُونَ، لِمَا أَنْهُمْ أَخْطَلُوا أَطْرَافَهُ
وَتَرَكُوا أَشْرَافَهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَلَ طَرِيقَ ضَلَّ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُودَ، فَلَمَّا
أُوْجَلَ، أَرْدَتْ وَاحِبَّتْ أَنْ أَبْيَنَ لَهُمْ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ، عَلَى مَا رَأَيْتُ
فِي الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِيذِي أُولَى الْعِلْمِ وَالْحِكْمَ، رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِمَنْ
الرَّاغِبِينَ فِي الْخَلْصَى، بِالْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ فِي يَوْمِ الدِّينِ، بَعْدَ مَا أَسْتَخَرْتُ
اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ، وَسَمِيَّتُهُ «تَعْلِيمَ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيقَ التَّعْلِيمِ» وَجَعَلْتُهُ فَصْوَلًا :
(فَصْل) فِي مَاهِيَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَفَضْلِهِ (فَصْل) فِي الْبَيْةِ فِي حَالِ التَّعْلِيمِ
(فَصْل) فِي أَخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأَسْتَاذِ وَالشَّرِيكِ وَالثَّابَاتِ

(فصل) في تعظيم العلم وأمه (فصل) في الجد والمواظبة والمهنة
 (فصل) في بداية السبق وترتيبه وقدره (فصل) في التوكل
 (فصل) في وقت التحصيل (فصل) في الشفقة والنصيحة
 (فصل) في الاستفادة (فصل) في الورع حال التعلم
 (فصل) فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان (فصل) فيما يحمل
 الرزق وما يمنعه، وما يزيد في العمر وما ينقصه. وما توفيقي إلا بالله عليه
 توكلت وإليه ألب

— ﴿فِي مَاهِيَّةِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَفَضْلِهِ﴾ —

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم
 ومسلمة ، أعلم أنه لا يفترض على كل مسلم طلب كل علم وإنما يفترض عليه طلب
 علم الحال (١) »

(١) علم الحال : يزيد به الأحوال والشجون التي لا بد أن ت تعرض للإنسان في حياته

فَإِنَّهُ يُقَالُ : أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْخَالِ ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حَفْظُ الْخَالِ ، وَيُفَرَّضُ
عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقِعُ لَهُ فِي حَالِهِ ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْلِهُ مِنَ
الصَّلَاةِ فَيُفَرَّضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقِعُ لَهُ فِي صَلَاةِ بَقْدَرِ مَا يُؤْدِي بِهِ فَرَضُ الصَّلَاةِ
وَيُحِبُّ عَلَيْهِ بَقْدَرِ مَا يُؤْدِي بِهِ الْوَاجِبَ ، لَأَنَّ مَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرِصِ

كَالإِيمَانُ وَمَعْرِفَةُ أَحْكَامِ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَالِمَاتِ الضرُورِيَّةِ وَطَرَائِقِ السُّعْيِ
إِلَى الرِّزْقِ وَالْعَمَلِ لَا كُنْسَابٌ مَا يَحْفَظُ الرَّمْقَ ، فَلَا جُلُّ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا
يُحِبُّ أَنْ يَتَلَمَّ مَا يَصِلُّ بِهِ إِلَى الإِيمَانِ مِنْ عِلْمِ أَصْوَلِ الدِّينِ ، وَلَا جُلُّ أَنْ يَعْرِفَ
مَا فِرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ وَاجِباتٍ ، يُحِبُّ أَنْ يَنْتَظِرَ فِي عِلْمِ الْفَقْهِ لِيَعْرِفَ حَدُودَ ذَلِكَ
وَلَا جُلُّ أَنْ يَتَعَرَّفَ سُبُلَ السُّعْيِ إِلَى الرِّزْقِ وَالْحَصُولِ عَلَى الْمَعَاشِ يُحِبُّ أَنْ يَتَلَمَّ
مِنْ عِلْمِ الْحَيَاةِ مَا يُسْتَطِعُ تَلْمِيذهُ .

فَالْفَرِصُ الَّذِي يَرِى إِلَيْهِ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ هُوَ الْوَصْلُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى السُّعَادَةِ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَإِذَا قَضَيْتُ الصَّلَاةَ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْ كَرُوا اللَّهُ كَثِيرًا الْعِلْمَ كَفَلُهُونَ » سُورَةُ الْجَمَعَةِ : آيةُ (١٠))
وَجَاءَ فِيهَا رَوَاهُ الْبَيْهِقِيُّ مِنْ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« تَعْلَمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصْلُوْتُ بِهِ أَرْحَامِكُمْ ثُمَّ اتَّهَوْا ، وَتَعْلَمُوا مِنْ الْمَرْيَةِ
مَا تَهَرُّ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّهَوْا ، وَتَعْلَمُوا مِنِ النَّجُومِ مَا تَهَدُّونَ بِهِ فِي ظَلَّامِ
الْبَرِّ وَالْبَرْرِ ثُمَّ اتَّهَوْا » .

يَكُونُ فَرْضًا، وَمَا يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُونُ وَاجِبًا. وَكَذَلِكَ
فِي الصُّومِ وَالزَّكَاةِ، إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحِجَّةُ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ
فِي الْبَيْوِعِ إِنْ كَانَ يَتَجَرَّ

قِيلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^(١) رَحْمَةُ اللَّهِ: أَلَا تُصْنَفُ كِتَابًا فِي الرُّهْدَ؟
قَالَ: صَنَفْتُ كِتَابًا فِي الْبَيْوِعِ! يَعْنِي الرَّاهِدُ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ
الشَّبَهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ فِي التَّجَارَاتِ، وَكَذَلِكَ فِي سَازِ الْمُعَالَمَاتِ
وَالْحِرَفِ. وَكُلُّ مَنْ أَشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يُفْتَرُضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحْرَزِ عَنِ الْحَرَامِ
فِيهِ. وَكَذَلِكَ يُفْتَرُضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ: مِنَ التَّوْكِيلِ، وَالْإِنْتَابِ،
وَالْخَشِيشَةِ، وَالرَّضَا، فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرَفُ الْعِلْمِ لَا يَنْخُنُ عَلَى أَحَدٍ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُ بِالْإِنْسَانِيَّةِ لِأَنَّ جِيَعَ الْحِصَالِ
سَوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَّاتِ كَالشَّجَاعَةِ وَالْجَرَاءَةِ،
وَالْقُوَّةِ، وَالْجُودِ؛ وَالشَّفَقَةُ وَغَيْرُهَا سَوَى الْعِلْمِ؛ وَبِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَ

(١) مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: يُعْلَمُ بِأَنَّهُ حَنِيفَةُ صَلَةِ قَرَابَةٍ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي يُوسُفِ

آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ وَأَمْرُهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ^(١) وَإِنَّمَا شَرَفُ
 الْعِلْمِ لِكُوْنِهِ وَسِلْيَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِي يَسْتَحْقُ بِهَا الْمَرْءُ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ
 تَعَالَى وَالسُّعَادَةُ الْأَبَدِيَّةُ؛ كَمَا قِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:
 تَعْلَمُ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَفَضْلٌ وَعَنْوَانٌ لِكُلِّ الْخَامِدِ^(٢)
 وَكُنْ مُسْتَفِيدًا كُلَّ يَوْمٍ ذِيَادَةً مِنَ الْعِلْمِ وَأَسْبَحْ فِي بَحْرِ الْفَوَادِ^(٣)
 تَفَقَّهَ فَإِنَّ الْفَقَهَ أَفْضَلُ فَانِدٌ إِلَى الْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَعْدَلُ فَاصِدٌ^(٤)
 هُوَ الْعِلْمُ الْمَهَادِيُّ إِلَى سَنَنِ الْمُهَدِّيِّ^(٥)

(١) حيث قال عز وجل : « وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالُوا أَنْبِئْنَا بِأَسْمَاءِ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتَ مَعْلُومًا » سورة البقرة آية (٣١)
 وأَمْرُهُمْ بِالسُّجُودِ لَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « وَإِذْ قَلَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُودُوا لِلْأَدَمَ فَسَجَدُوا
 لِلْأَبْلِيلِينَ » سورة البقرة آية (٣٤). وَالسُّجُودُ مِنَ الْخَضُوعِ

(٢) الْخَامِدُ جَمْعُ حَمَدَةٍ بفتح الميمين مصدر ميمى بمعنى المحمودة : يعني أنَّ الْعِلْمَ
 دِلْلَى عَلَى أَنَّ صَاحِبَهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَأَخْلَاقٍ كَرِيمَةٍ وَخَصَالٍ مُحْمَودَةٍ

(٣) أى فِي الْفَوَادِ الَّتِي كَالْبَحْرِ كَثْرَةً وَعَظَمَتْ فِيهِ إِشَارَةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :
 « وَقَلَ رَبُّ زَدَنِ عَلَيْهِ » سورة طه، آية (١١٤)

(٤) فَاصِدٌ : عَادِلٌ (٥) السَّنَنُ بفتح السين : الطَّرِيقُ

فَإِنْ فَقِهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدَّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ^(١)
وَكَذَلِكَ فِي شَأْنِ الْأَخْلَاقِ تَحْمُوا الْجُبُودُ وَالْبُخْلُ وَالْجُنُونُ وَالْجُرْأَةُ وَالْتَّكْبِيرُ
وَالْتَّوَاضِعُ وَالْعَفْفُ وَالْإِسْرَافُ وَالْتَّقْبِيرُ وَغَيْرُهَا، فَإِنَّ الْكِبْرَ وَالْبُخْلَ وَالْجُنُونَ
وَالْإِسْرَافُ حَرَامٌ؛ وَلَا يُمْكِنُ التَّهَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بِلِهَا وَعِلْمٍ مَا يُضَادُهَا،
فَيُفْتَرُضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عَلَيْهَا. وَقَدْ صَنَفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ الشَّهِيدُ
فَاصِرُ الدِّينِ أَبُو الْفَاسِيِّ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنِعْمَ مَا صَنَفَ، فَيَجِبُ عَلَى
كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا

وَأَمَّا حِفْظُ مَا يَقُولُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ فَفَرَضَ عَلَى سَبِيلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا
قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلَدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ فَإِنْ لَمْ يُكُنْ فِي الْبَلَدَةِ مَنْ يَقُولُ

(١) ليس المراد بالألف تحديد العدد ، بل بيان الكثرة . وإنما كان الفقيه التورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من المابدين غير الفقهاء لأن الفقيه على يقنة من الحلال والحرام فلا يستطيع الشيطان أن يضله ، أما العابد غير الفقيه فهو يبعده الله على غير بصيرة ، فمن المبين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون أن يشعر ، ومن السهل أن يقعه في جائع متشابك من الشبه والشكوك .

بِهِ أَشْتَرَكُوا جَيْعَانِيْنِ الْمَائِمِ^(١) فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرْهُمْ بِذَلِكَ وَيَنْهَا
أَهْلَ الْبَلْدَةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ عِلْمَ مَا يَقْعُدُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ
هُوَ بِمَنْزَلَةِ الْطَّعَامِ لَا يَبْدُلُ كُلُّ وَاحِدٍ^(٢) مِنْهُ، وَعِلْمُ مَا يَقْعُدُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ
بِمَنْزَلَةِ الدَّوَاءِ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حِينَ الْمَرْضِ فَقَطْ . وَعِلْمُ النَّجُومِ^(٣) بِمَنْزَلَةِ

(١) المائم: الإمام والمعصية. وإنما اعتبر الجميع مشاركين في الإمام والمعصية
بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان لأنه مصلحة عامة، فإذا انقطعت
حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان، خاجة المجموع إليها دائمة لانقطع.

(٢) يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للراء
لا يستطيع أن يزددي واجباته الدينية والدنيوية إلّا به، كما لا يستطيع أن يعيش
بدون علم يقيم به أوده ويسد رمقه. فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعاً على
كل فرد بعينه، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان، كما يحتاج الإنسان إلى
الدواء حين المرض، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه، ولكن
يجب أن يكون في كل جماعة عدد من المارقين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة
إليها، فشلا لا يجب على كل فرد أن يكون طيباً، ولكن يجب أن يكون في كل
جماعة عدد من الأطهاء يكفي لعلاج من يمرض منهم.

(٣) يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك بدليل قوله: «والمرء
من قضاء الله غير ممكناً...»، فإن علم الفلك لا يجب في وسائل المرء من قضاء
الله، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والأفلاك، ونظام سيرها، وقواعد

المرتضى فتعلم حرام لأنه يضر ولا ينفع ، والهرب من قضاء الله تعالى
وقدره غير ممكن ، فينبغي لكل مسلم أن يستغل في جميع أوقاته بذكر الله
تعالى والدعا ، والتضرع وقراءة القرآن والصلوات الدافعة للبلاء ، ويسأل
الله تعالى العفو والغافية في الدنيا والآخرة ، ليصونه الله تعالى عن البلاء
والأفات ، فإن من رُزق الدعاء لم يحرم الإجابة ، فإن كان البلاء مفترأ
يُصبه لاحالة ، لكن يسره الله عليه ، ويرزقه الصبر ببركة الدعاء
اللهم إلا إذا تعلم من النجوم قدر ما يُعرف به القبلة وأوقات الصلاة
فنجوز ذلك

المجازية بينها ، وأوقات شروقها وغروبها .. وغير ذلك مما يحتاج إليه أشد الاحتياج
في كثير من الشؤون الدينية والدنيوية ، ومن يطلع على أبحاث الفلكيين الدقيقة
لا يسمه إلا أن يغرساً ماجداً خالق هذا العالم الذي يسر العقول ويدمش الآلاب
قال الله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنيل آيات
لأول الآلاب » ، سورة آل عمران ، آية (١٩٠) .
وقال صل الله عليه وسلم : (تعلموا من أناسكم ما تصلون به أرجاسكم ثم اتهوا
وتسلموا من العريمة ما تعرّبون به كتاب الله ثم اتهوا ، وتعلموا من النجوم ما تهتدون
فيه في ظلمات البر والبحر ثم اتهوا) .

وَأَمَّا تَعْلِمُ عِلْمَ الطِّبِّ فَيَجُوزُ لَهُ سَبْبُ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَيَجُوزُ تَعْلِمُهُ
 كَسَارِ الْأَسْبَابِ، وَقَدْ تَدَوَّى النِّيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَقَدْ حُكِيَّ
 عَنِ الشَّافِعِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: الْعِلْمُ عَلَيْهِنَّ: عِلْمُ الْفِقْهِ لِلْأَدِيَّاتِ
 وَعِلْمُ الطِّبِّ لِلْأَبِدَانِ، وَمَا وَرَأَهُ ذَلِكَ بِلْغَةُ مَجْلِسٍ^(١)
 وَأَمَّا تَقْسِيرُ الْعِلْمِ فَهُوَ صَفَّةٌ يَتَجَلَّ بِهَا مَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ الْمَذَكُورُ^(٢)
 كَمَا هُوَ. وَالْفِقْهُ: مَعْرِفَةُ دَفَّاتِقِ الْعِلْمِ مَعَ تَوْيِعٍ^(٣) عِلَاجٍ. قَالَ أَبُو حَيْنَةَ
 رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: الْفِقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا هُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ. وَقَالَ: مَا الْعِلْمُ إِلَّا عَمِلٌ بِهِ
 وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ. فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِلَّا يَغْفُلُ عَنْ نَفْسِهِ

(١) بِلْغَةُ مَجْلِسٍ: كَفَافِيَةُ مَجْلِسٍ، أَيْ يَكْتُفِي التَّحْدِيدُ بِهِ فِي الْمَجْلِسِ
 وَلَوْ صَحَّ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَذَا فَلَيْسَ يَقْصُدُ مِنْهُ أَنْ غَيْرَ
 هَذِينَ الْعَلَيْنِ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ سَوْيَ التَّحْدِيدِ بِهِ فِي الْمَجْلِسِ، وَإِنَّمَا يَقْصُدُ أَنَّهُ يُجْبِي
 وَجْوَبَيْنِ عَلَيْنَا عَلَى كُلِّ فَرَدِ أَنْ يَعْرِفَ مِنَ الْفِقْهِ مَا يَسْتَقِيمُ بِهِ دِينَهُ وَتَصْحِحَ طَبَادَتَهُ
 وَمِنْ عِلْمِ الطِّبِّ مَا يَعْفَظُ بِهِ صَحَّتْهُ وَيُنْقِي أَسْبَابَ الْأَسْرَارِ وَهُوَ مَا يَسْمَىُ عِلْمَ تَدْبِيرِ
 الصَّحَّةِ، وَمَا عَدَا هَذِينَ الْعَلَيْنِ فَهُوَ وَاجِبٌ وَجْوَبَيْنِ كَفَافِيَةٍ

(٢) الْمَذَكُورُ: أَيْ مَا يَنْتَلِقُ بِهِ الْعِلْمُ: كَمَا هُوَ: أَيْ عَلَى حَقِيقَتِهِ

(٣) هَذَا تَعْرِيفُ الْفِقْهِ بِالْمَعْنَى الْمُنْوَى الْعَامِ الَّذِي يَشْمَلُ كُلَّ الْعِلُومِ

وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أُولَاهَا وَآخِرَاهَا، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَخْتَبِي
مَا يَضُرُّهَا كَيْلًا يَكُونُ عَقْلَهُ وَعَلَيْهِ حُجَّةٌ فَيُزَادُ عَقْوَبَةً، نَعُوذُ بِاللهِ
مِنْ سُخْنِهِ وَعَقْلِهِ
وَقُدُورَهُ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٍ وَأَخْبَارٍ صَحِّحَةٌ مُشْهُورَةٌ لَمْ تُشْتَغِلْ
بِذِكْرِهَا كَيْلًا يَطُولُ الْكِتَابَ (١)

﴿فَصَلْ فِي النِّيَةِ حَالُ التَّعْلِمِ﴾

ثُمَّ لَابِدُ لَهُ مِنَ النِّيَةِ فِي زَمَانِ تَعْلِمِ الْعِلْمِ، إِذَا نِيَةُهُ هِيَ الْأَصْلُ فِي جَمِيعِ
الْأَحْوَالِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِعْمَالُ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَاتِ، حَدِيثُ

(١) قَالَ تَعَالَى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إِنَّمَا
يَنْذَكِرُ أُولُوا الْأَلْبَابُ »، سُورَةُ (الرَّمْرَمَ) آيَةُ (٩)
وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ »،
سُورَةُ الْمَاجَدَةِ آيَةُ (١١)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « يَوْمَ الْحِكْمَةُ مِنْ يَشَاءُ وَمِنْ يَوْمَ الْحِكْمَةِ قَدْ أُوقِيَ خَيْرًا
كَثِيرًا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابُ »، سُورَةُ الْبَرَّ آيَةُ (٢٦٩) وَجَاءَ فِي الْبَخَارِيِّ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ يَرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ - خَيْرُ الدِّينِ
وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ ، وَشَرُّ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ »،

صَحِّحٌ، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ أَعْمَالِ الدُّنْيَا وَيَصِيرُ بِهِ مُحْسِنُ النِّيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكُمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُورَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا يُسُوءُ النِّيَّةِ، وَيَبْيَغِي أَنْ يَنْتَوِي الْمُتَلَعِّمُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالنَّارُ الْآخِرَةِ وَإِذَاَلَهُ الْجَهْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ سَازِ الْجَهَالِ وَإِحْيَا الدِّينِ وَإِبْقَاةِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ وَلَا يَصْحُ الرُّهْدُ وَالْتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَنْشَدَنِي الْأَسْتَاذُ الشِّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ بِرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْمَدِيَّةِ لِعَصْبِرِهِمْ:

فَسَادُ كَبِيرُ عَالَمٍ مُهْتَكٌ وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا فَتَّةُ فِي الْعَالَمَيْنِ عَظِيمَةٌ لِمَنْ يَهْسَأُ فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ
وَيَنْتَوِي بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعُقْلِ، وَحَمْخَةُ الْبَدْنِ وَلَا يَنْتَوِي بِهِ إِقْبَالُ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا إِسْتِجْلَابُ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةُ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ
قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحَسَّنِ رَحْمَةُ اللَّهِ: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَيْدِي لَا يَعْقِلُونَ وَتَرَاتُ
عَنْ وَلَائِهِمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلْسَا يَرْغَبُ فِيهَا

عند الناس

أنشدنا الشيخ الإمام الأجل الأستاذ قوام الدين حماد بن إبراهيم بن
إسماعيل الصفار الأنصارى إملاة لأبى حنيفة رحمة الله تعالى شعراً :
من طلب العلم للتعاد فاز بفضل من الرشاد
في الخسران طالبه لليل فضل من النباد
اللهم إلا إذا طلب الجاه للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتنبيه
الحق وإعزاز الدين ، لا لنفسه وهواء ، فيجوز ذلك بقدر ما ي Quincy به الأمر
بالمعرفة والنهى عن المنكر . وينبغي لطالب العلم أن يتذكر في ذلك فإنه
يتعلم العلم بجهد كثير فلا يصرفه إلى الدنيا المفيرة القليلة الفانية
هي الدنيا أقل من القليل وعاشها أذل من الذليل
تضم بسحرها قوماً وتعنى فهم متغيرون بلا دليل
وينبغي لأهل العلم الأذل نفسه بالطمع في غير مطعم ، ويتحرز عما فيه مذلة
العلم وأهله ، ويكون متواضعاً ، والتواضع بين التكبير والمنذلة والتفه ،

وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ الْأَسْتَادُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَعْرُوفٌ بِالْأَدِيبِ

الْمُخْتَارِ رَحْمَةُ اللَّهِ شِعْرًا لِنَفْسِهِ :

إِنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ خَصَالِ الْمُتَقِّيِّ

وَبِهِ التَّقِّيُّ إِلَى الْمَعَالِيِّ يَرْتَقِي

وَمِنَ الْعَجَابِ بِعِجَابِهِ مَنْ هُوَ جَاهِلٌ

فِي حَالِهِ أَهُوَ السَّعِيدُ أَمْ الشَّقِيقُ

أَمْ كَيْفَ يَخْتَمُ عُمْرُهُ أَوْ رُوْحُهُ

يَوْمَ النَّوْىِ مُتَسْفِلٌ أَوْ مُرْتَقِي

وَالْكَبِيرِ يَا لَرِبَّنَا صِفَةُكَمْ

خَصْصُصَةٌ فَتَجَنَّبُنَا وَأَنْتَنِي

فَالْأَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ : عَظَمُوا عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَوَسِعُوا أَمَانَكُمْ^(١)

وَلَئِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لَلَّا يَسْتَخِفُ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ . وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ

عَلَى كِتَابِ الرَّوْصَةِ الَّتِي كَتَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ لِيُونُسَ بْنَ خَالِدَ السَّمَتِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ

عَلَيْهِ عَنْدَ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ : يَجْدُهُمْ مِنْ يَطْلُبُهُ . وَقَدْ كَانَ أَسْتَادُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ

(١) المقصود من هذا أنه ينبغي للتعلم أن يظهر بالظاهر الذي يكتب الإجلال والاحترام تماضيا للعلم وإكبارا ل شأنه .

برهان الأئمة على بن أبي بكر قدس الله روحه العزيز أمر في بكتابته عند الرجوع إلى بلدي وكتبه، ولا بد للدرس والمفتي في معاملات الناس منه

(فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات)

ينبغى لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه^(١) وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المال، فيقدم علم التوحيد والمعرفة، ويعرف الله تعالى بالدليل، فإن إيمان المقلد وإن كان صحيحًا عندنا لكن يكون أثما بترك الاستدلال^(٢) ويتختار العتيق^(٣) دون المحدثات قالوا: عليكم بالعتيق

(١) أحسن كل علم ما كان من جوهره وصربيه، وخلص من المناقش والخلافات. قال الشاعر:

ما حوى العلم جيماً أحد لا، ولو مارسه ألف سنه
إنما العلم بعيد غوره خذلوا من كل علم أحسنه

(٢) أي معرفة الدليل. وأفضل الأدلة في ذلك ما كان فطرياً بسيطاً كذلك الدليل الناصح الذي قاله الأعرابي في لمحجة قرية صريحة: البصرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فأرض ذات خجاج، وسماء ذات أبراج، أفلأ تدل على العلي القدير ؟

(٣) يزيد بالعتيق ماتم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان القاطع على صحته، ويريد بالحديث ما يزال الخلاف فيه معمداً ولم تفك أدلة الآراء المتصادمة فيه ينقض

وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدِثَاتِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ بَعْدَ أَنْ قَرَأَنِي
الْأَكَبَرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُ الطَّالِبَ عَنِ الْفِقْهِ، وَيُضِيِّعُ الْعُمُرَ، وَيُوَدِّعُ
الْوَحْشَةَ وَالْمَدَاؤَةَ وَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (١) وَأَرْتَفَاعُ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ
كَذَا وَرَدَ فِي الْمَدِيْدِ (٢) وَأَمَّا مُخْتَيَارُ الْأَسْتَاذِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمَ
وَالْأَوْرَعَ وَالْأَسْنَ، كَمَا أَخْتَارَ أَبُو حِينَفَةَ حَمَادَ بْنَ سُلَيْمَانَ رَحْمَةَ اللَّهِ بَعْدَ
الْتَّامِلِ وَالْفَكْرِ وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شِيَخًا قَوْرَأَ حَلِيلًا صَبُورًا. وَقَالَ: تَبَّتْ عَنِّي
حَمَادَ بْنَ سُلَيْمَانَ فَمِيتَتْ. قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ سَمِعْتُ حَكِيمًا مِنْ حُكَمَاءِ سِرْقَدٍ يَقُولُ
إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَأْوَرَنِي فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الْذَّهَابِ
إِلَى بُخَارَى لِطَلَبِ الْعِلْمِ - وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَشَأْوَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ، فَإِنَّ اللَّهَ
بَعْضُهَا بَعْضًا، وَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَعْتَقِدْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَقُومَ الْبَرَهَانُ عَلَى مَحْتِمَهِ

(١) أَشْرَاطُ جَمْعِ شَرْطِ بَعْثَةِ الشَّيْنِ وَالرَّاهِمِ الْعَلَمَةِ . أَى عَلَمَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(٢) يَشِيرُ إِلَى مَا رَوَاهُ الدِّيْلِيُّ عَنْ أَبْنِ مُسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: تَعْلَمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَنِي، فَإِنْ أَحَدُكُمْ لَا يَدْرِي مَنْ يَنْقُرُ إِلَى مَاعْنَدَهُ
وَعَلَيْكُمُ الْعِلْمُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُنْطَعِنِ وَالْبَدْعِ وَالْتَّعْقِمِ، وَعَلَيْكُمُ الْمُتْبِقُ

تعالى أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُشَارَوَةِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، وَلَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ بِالْمُشَارَوَةِ وَكَانَ يُشَارِرُ أَصْحَابَهُ فِي جَمِيعِ
الْأُمُورِ حَتَّى حَوَّأْنَجَ الْبَيْتَ قَالَ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ: مَا هَلَكَ أَمْرٌ وَعَنْ
مَشَوَّرَةٍ وَقِيلَ: النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءٌ، فَالرَّجُلُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ
صَاحِبٌ وَيُشَارِرُ، وَنِصْفُ الرَّجُلِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَاحِبٌ، وَلَكِنْ لَا يُشَارِرُ
أَوْ يُشَارِرُ وَلَكِنْ لَأَرَأَيَ لَهُ، وَلَا شَيْءٌ مَنْ لَأَرَأَيَ لَهُ وَلَا يُشَارِرُ . قَالَ
جَعْفُرُ الصَّادِقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسْفَيَانَ الثُّوْرَيِّ: شَارِرٌ فِي أَمْرِكَ الْدِينِ
يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى - وَطَلَبَ الْعِلْمَ مِنْ أَعْلَى الْأُمُورِ وَأَصْبَحَهَا فَكَانَتْ الْمُشَارَوَةُ
فِيهِ أَمْ وَأَوْجَبَ (١) - قَالَ الْحَكِيمُ: إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى لَا تَعْجَلْ فِي
الْاِخْتِلَافِ (٢) إِلَى الْأَنْتَهِيَّةِ وَأَمْكُثْ شَهْرَيْنِ حَتَّى تَتَأَمَّلْ وَتَخْتَارَ أَسْتَادَّاً ،

(١) ما بين الشرطين ليس من كلام الحكيم بل من كلام المؤلف ساقه هنا
لبيان أهمية المشورة

(٢) الاختلاف للي الأمة هو التردد على مجالسيم لأخذ العلم عنهم .

(٢ - تطبيه)

فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى عَالَمٍ وَبِدَاتَ بِالسَّبِقِ (١) عَنْهُ رَبِّا لَا يُعْجِبُكَ دَرْسُهُ
فَتَرَكْتُهُ وَتَذَهَّبَ إِلَى آخَرَ فَلَا يُبَارِكُكَ فِي التَّعْلِمِ، قَامَلَ شَهْرَيْنِ فِي أَخْتِيَارِ
الْأَسْتَاذِ وَشَارَوْرَ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْأَعْرَاضِ عَنْهُ قَتَبَتْ عَنْهُ حَتَّى
يَكُونَ تَعْلِمَكَ مُبَارِكًا وَتَتَنَقَّعَ بِعِلْمِكَ كَثِيرًا . وَاعْلَمَ أَنَّ الصَّبَرَ وَالثَّبَاتَ
أَصْلٌ كَيْرٌ فِي جَمِيعِ الْأَمْوَرِ وَلِكُنَّةَ عَزِيزٍ كَمَا قِيلَ :

لِكُلِّ إِلَى شَأْوِ الْعَلَاءِ حَرَكَاتُ وَلِكُنْ عَزِيزُ فِي الرَّجَالِ نَبَاتُ
قِيلَ : الشَّجَاعَةُ، صَبَرُ سَاعَةً، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَقْبِلَ وَيَصْرِفَ عَلَى
أَسْتَاذَ وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَرُكِ أَبْتَرَ (٢) وَعَلَى فِنْ حَتَّى لَا يَشْتَغِلَ بِفَنِّ آخَرَ
قَبْلَ أَنْ يَقْنَ الْأَوَّلَ، وَعَلَى بَلْدٍ حَتَّى لَا يَتَقَلَّ إِلَى بَلْدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةِ
فَإِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ يَفْرُقُ الْأَمْوَرَ وَيَشْغُلُ الْقَلْبَ، وَيَضْيَعُ الْأَوْقَاتَ، وَيُؤْذِنِي
الْمَعْلُمُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تَرِيدُهُ نَفْسُهُ وَهُوَ أَهْ . قَالَ الشَّاعِرُ :

(١) بَدَأَتْ بِالسَّبِقِ عَنْهُ : أَيْ بَدَأَتْ بِأَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ قَبْلَ التَّأْمِلِ وَحُسْنِ الْأَخْيَارِ .

(٢) أَبْتَرَ : نَاقِصٌ .

إِنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ يَعْيِنُهُ وَصَرِيعُ كُلَّ هَوَى صَرِيعُ هَوَانٍ
 وَيَصْبِرُ عَلَى الْخَنْ وَالْبَلَىكَاتِ فَقَدْ قِيلَ : خَزَانُ الْمَنَّ عَلَى قَاطِرِ الْخَنِ .
 وَأَشَدَّتْ ، وَقِيلَ إِنَّهُ لِعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
 إِلَّا لَاتَّسَلُ الْعِلْمُ إِلَّا بَسْتَهُ سَائِنِكَ عَنْ بَحْسُوْعَهَا بِبَيَانِ
 ذَكَارٍ وَحِرْصٍ ، وَأَصْطِبَارٍ ، وَبُلْغَةٍ^(١) وَإِرْشَادُ أَسْتَاذٍ ، وَطُولُ زَمَانٍ
 وَأَمَا أَخْتِيَارُ الشَّرِيكِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ الْمَجْدَ وَالْوَرِعَ وَصَاحِبَ الطَّبْعِ
 الْمُسْتَقِيمِ ، وَيَفِرُّ مِنَ الْكَسْلَانِ وَالْمُعْتَلَ وَالْمِكْتَارَ وَالْمُفْسِدَ وَالْفَتَانَ^(٢) .
 قال الشاعر :

عَنِ الْمَرْءِ لَاتَّسَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ فَكُلُّ قَرِينٍ يَمْقَارِنُ يَقْتَدِي^(٣)

(١) البلقة: ما يتبلغ به من العيش

(٢) المكتار: كثير الكلام، والفتان: هو من يثير الفتن والمنازعات بين الناس

(٣) الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله: إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فترد مع الردي

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرِّ بَقَائِمَهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارَنَهُ تَهْتَدِي

وَانْشَدَتْ :

لَا تَصْبِحُ الْكَسْلَانَ فِي حَالَتِهِ كُمْ صَالِحٌ بِفَسَادِ آخَرِ يَفْسُدُ
 عَذَوْيَ الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٍ كَابِسِرِ يَوْضُعُ فِي الرَّمَادِ فِي خِمْدَهُ
 وَقَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَّا أَنْ
 أَبُو يَهُودَاهُ أَوْ يَنْصَرَاهُ أَوْ يُمْجَسَّنَاهُ الْحَدِيثُ . وَيَقَالُ فِي الْحُكْمَةِ بِالْفَارَسِيَّةِ
 يَارِبَدَ بَدْرَ بُو دَازَ مَارِبَدَ حَقَّ ذَاتِ پَاكِ اللَّهِ الصَّمْدِ
 يَارِبَدَ آرَدَ تَرَا سُوئِيْ جَحِيمَ يَارِنِيْكُو گَيرَتَنَا يَابِيْ فَعِيمَ^(١)

وَقِيلَ :

إِنْ كُنْتَ تَبْنِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِهِ

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسْلَعْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلْ قَرِينَ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِي
 وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ ، اخْتَبِرُو النَّاسَ يَا خَوَاهِنْمَ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَخْادِنُ مَنْ يَعْجَبُهُ نَحْوَهُ ، أَيْ مَنْجَهُ
 وَطَرِيقَتِهِ^(١) جَاءَ فِي شَرْحِ الشِّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ هَذَا الْكِتَابُ يَا نَا
 لِمَعْنَى هَذَا الشِّعْرُ الْفَارَسِيِّ : يَعْنِي أَنَّ الصَّاحِبَ السَّوْءَ أَسْوَأُ مِنَ الْجَبَةِ السُّوْدَاءِ
 وَأَكْثَرُ مِنْهَا ضَرَرًا .

فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب ^(١)

(فصل في تعظيم العلم وأهله)

اعلم أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينفع به إلا تعظيم العلم وأهله،
 وتعظيم الاستاذ وتوقيره، فقد قيل: ما وصلَ منَ وصلَ إلا بالحرمة ^(٢)
 وما سقطَ منَ سقطَ إلا يترك الحرمة. وقيل: الحرمة خيرٌ من الطاعة
 ألا ترى أن الإنسان لا يكفر بالمعصية وإنما يكفر باستخفافها وترك
 الحرمة، ومن تعظيم العلم تعظيم المعلم. قال علي ^{رض} كرم الله وجهه: أنا عبد
 من علني حرقاً واحداً، إن شاءَ باع، وإن شاءَ أعتق، وإن شاءَ أسترق.
 وقد أنشدت في ذلك شعراً :

(١) فاعتبر الأرض بأسمائها: يمكن أن يقال إن المراد بأسمائها الأسماء التي تطلق عليها: فكلمة ضبعة تدل على أنها أرض ذات ذرع وضرع، وكلمة حدبة تدل على أنها ذات أشجار ونمار... ويمكن أن يقال إن المراد بأسمائها أسماء مسماً كتبها: فإذا شاعت بينهم أسماء صخر وحجر والتارظ ودارم دل ذلك على أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر القرظ والمدارم، وإذا شاع فيها أسماء أسد ونعلب وكلب أو كلاب مثلاً دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها.
 (٢) الحرمة: المهابة والتعظيم.

رأيت أحقَ الحَقَّ حَقَ المُعْلَمَ وَأَوْجَبَهُ حَفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ
لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدِي إِلَيْهِ كَرَامَةً لِتَعْلِيمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ لِفَدِيرَمٍ

فَإِنَّ مَنْ عَلِمَكَ حَرْفًا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ فَهُوَ أَبُوكَ فِي الدِّينِ . وَكَانَ
أَسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرازِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : قَالَ
مَشَايِخُنَا رَحْمَهُمُ اللَّهُ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ عَالَمًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُرَأَعِي
الْفُرَبَاهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَيُكَرِّمُهُمْ وَيُطَعِّمُهُمْ وَيُعَظِّمُهُمْ وَيُعَطِّيهِمْ شَيْئًا ، فَإِنَّ
لَمْ يُكُنْ أَبُوهُ عَالَمًا كَانَ حَفِيدَهُ عَالَمًا . وَمَنْ تَوَقَّرَ الْمُعْلَمَ إِلَيْهِ شَيْئًا أَمَامَهُ ،
وَلَا يَجِلسَ مَكَانَهُ ، وَلَا يَبْتَدَئِنَّ بِالْكَلَامِ عَنْهُ إِلَّا يَأْذَنَهُ ، وَلَا يُكَثِّرَ الْكَلَامَ
عَنْهُ إِلَّا يَأْذَنَهُ ، وَلَا يَسْأَلَ شَيْئًا عَنْدَ مَلَائِكَةٍ (١) ، وَيُرَاعِي الْوَقْتَ وَلَا يَدْقُقُ

الْبَابَ بَلْ يَصِيرُ حَتَّى يَخْرُجَ

وَفِي الْجَمَلَةِ يَطْلُبُ رَضَاءً ، وَيَحْتَنِبُ سُخْطَهُ ، وَيَمْتَلِئُ أَمْرَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ
اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِخَلْقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الملاة: الضجر والأسأم. ويراعي الوقت: أى لا يفعل شيئاً إلا في الوقت المناسب له.

والسلام : «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يُذْهِبُ دِينَهُ لِدُنْيَاً غَيْرَهُ»
ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلّق به ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ
بِرْهَانُ الدِّينِ صَاحِبُ الْمَدَائِيَّةِ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ يَحْكُمُ أَنَّ وَاحِدَةَ مِنْ كَبَارِ
أَئِمَّةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدِّرْسِ وَكَانَ يَقُولُ فِي خَلَالِ الدِّرْسِ أَحِيَّانًا
فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ ابْنَ أَسْتَاذِي يَلْعَبُ مَعَ الصَّيَّانَ فِي السُّكَّةِ وَيَنْجِي
أَحِيَّانًا إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ أَقْوَمُ لَهُ تَعْظِيْمًا لِأَسْتَاذِي ، وَكَانَ القاضِي
الْإِمامُ نَفْرُ الدِّينِ الْأَرْسَابِدِيَّ رَئِيْسُ الْأَئِمَّةِ فِي مَرْوَ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ
يَحْتَرِمُهُ غَيْرَ الْإِحْرَامِ ، وَيَقُولُ : لَمَّا وَجَدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ خَدْمَةَ الْأَسْتَاذِ
فَإِنِّي كُنْتُ أَخْدُمُ الْأَسْتَاذَ الْقاضِيَّ الْإِمامَ أَبَا يَزِيدَ الدِّبُوْسِيَّ ، وَكُنْتُ أَخْدُمُهُ
وَأَطْبِخُ طَعَامَهُ ثَلَاثَيْنَ سَنَةً وَلَا أَكُلُّ مِنْهُ شَيْئًا . وَكَانَ الشِّيْخُ الْإِمامُ الْأَجْلِ
شِيْسُ الْأَئِمَّةِ الْمَلْوَانِيُّ رَحْمَةُ اللهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى وَسَكَنَ فِي بَعْضِ الْقُرَى
أَيَّامًا لَحَادَةً وَقَعَتْ لَهُ ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيْذُهُ غَيْرَ الشِّيْخِ الْإِمامِ الْقاضِيِّ شِيْسِ
الْأَئِمَّةِ الْزَّرْبِيِّيِّ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى ، فَقَالَ لَهُ حِينَ لَقِيَهُ : لَمْ تُزُورْنِي ؟ فَقَالَ لَهُ :

كُنْتُ مُشغُولاً بِخُدْمَةِ الْوَالِدَةِ ، فَقَالَ تُرْزِقُ الْعُمَرَ ، وَلَا تُرْزِقُ رَوْقَنَ الدِّرْسِ ،
وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرْبَى وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِهِ الدِّرْسُ .

فَنَنَّا ذَلِكَ مِنْهُ أَسْتَادُهُ يَحْرُمُ بِرَحْمَةِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيلًا
إِنَّ الْمَعْلُومَ وَالطَّيِّبَ كَلَامًا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يَكُنْ مَا
فَأَصْبَرْ لِدَائِنِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيعَتِهِ وَأَقْعَدْ بِجَهَوْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعْلِمَهُ
وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيفَةَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بَعَثَ أَبْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِي لِيُعْلِمَ
الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ ، فَرَأَاهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ وَابْنُ الْخَلِيفَةَ يَصْبِبُ الْمَاءَ
عَلَى رِجْلِهِ ، فَعَاتَبَ الْأَصْمَعِيَ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : إِنَّمَا بَعَثْتَ إِلَيْكَ لِتَعْلِمَهُ وَتَوَدَّهُ
فَلَسَاءَ لَمْ تَأْمِرْ يَانِ يَصْبِبُ الْمَاءَ يَا حَدِيَ يَدِيهِ وَيَغْسِلُ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ ؟
وَمِنْ تَعْظِيمِ الْعِلْمِ تَعْظِيمُ الْكِتَابِ ، فَيَتَبَعَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِلَّا يَأْخُذُ
الْكِتَابَ إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ
وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَئْمَةِ الْحَلَوَانِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا

نَلَتْ هَذَا الْعِلْمَ بِالْتَّعْظِيمِ، فَإِنِّي مَا أَخَذْتُ الْكَاغِدَ (١) إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ. وَالشَّيْخُ
الْإِمَامُ شَمْسُ الْأَمَّةِ السَّرِّخِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ سَبِطُونَا (٢) وَكَانَ
يُكَرِّرُ (٣) فِي لِيْلَةِ قَوْضَانِيَّ تِلْكَ الْلَّيْلَةِ سِعَ عَشْرَةَ مَرَّةً، لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكَرِّرُ
إِلَّا بِالْطَّهَارَةِ وَهَذَا لَأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ، وَالْوُضُوءُ نُورٌ، فَيُزَادُ نُورُ الْعِلْمِ بِهِ.
وَمِنَ التَّعْظِيمِ الْوَاجِبِ الْأَيْمَدُ رَجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ، وَيَضْعُمُ كُتُبَ التَّفْسِيرِ
فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ تَعْظِيمًا، وَلَا يَضْعُمُ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ، وَكَانَ
أَسْتَاذَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَعْنِي عَنْ شَيْخِ مِنَ
الْمُشَائِعِ أَنَّ فِيهَا كَانَ وَضَعَ الْمُبْرَهَةَ عَلَى الْكِتَابِ فَقَالَ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ:
«بِرْنِيَابِ» (٤)، وَكَانَ أَسْتَاذَنَا الْفَاضِلُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ بَغْرُ الْإِسْلَامِ الْمُعْرُوفُ
بِقَاضِيَخَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: إِنْ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ الْأَسْتِخْفَافَ فَلَا بَأْسَ

(١) الْكَاغِد بفتح الْيَنِينِ: الْفَرْطَاسُ

(٢) الْمُبْطَونُ هُوَ مَنْ يَشْكُى بِطْنَهُ (٣) بِرِيدْ مَذَا كَرَةُ الْعِلْمِ

(٤) فِي شِرْحِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلْمَةِ: لَا تَجِدُ النَّفْعَ
بِهِ مِنْ عَلَكُ.

بِهِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يَتَرَوَّزَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّعْظِيمُ الْوَاجِبُ أَنْ يُجْهَدَ كِتَابَهُ
الْكِتَابُ، وَلَا يُقْرَمِطُ^(١)، وَيَرُكَ الْحَاشِيَةَ إِلَّا عَنْدَ الْفُرْوَةِ. وَرَأَى
أَبُو حَيْفَرَ حَمَّادَهُ أَنَّهُ قَعَدَ كَاتِبًا يُقْرَمِطُ فِي الْكِتَابَةِ. فَقَالَ: لَمْ يُقْرَمِطْ خَطْلَكَ
إِنْ عَشْتَ تَنْدَمْ، وَإِنْ مَتْ تَشَمْ. يَعْنِي إِذَا شُخْتَ وَضَعَفَ بَصَرُكَ تَنْدَمْتَ
عَلَى ذَلِكَ.

وَحُكِيَّ عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الدِّينِ الصَّرَحَكِيِّ^(٢) أَنَّهُ قَالَ: مَا قَرَمَطْنَا
إِلَّا نَدَمْنَا، وَمَا تَخْبَنَا إِلَّا نَدَمْنَا، وَمَالَمْ تَقَابِلْ إِلَّا نَدَمْنَا^(٣) وَيَبْقَى أَنْ يَكُونَ
تَقْطِيعُ الْكِتَابِ مُرْبَعًا فَإِنَّهُ تَقْطِيعُ أَبِي حَيْفَرَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَهُوَ أَيْسَرُ إِلَى الرِّفْقِ
وَالْوَضْعِ وَالْمُطَالَعَةِ، وَيَبْقَى أَلَا يَكُونَ فِي الْكِتَابِ شَيْءٌ مِّنَ الْمُرْرَةِ فَإِنَّهَا

(١) يُقْرَمِطُ: يَدْفَقُ الْكِتَابَةَ وَيَصْفَرُ مَا

(٢) فِي نَسْخَةِ أُخْرَى: الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ الدِّينُ الصَّرَحَكِيُّ

(٣) مَا تَخْبَنَا: لَخَنَنَا، أَيْ مَا تَرَكَنَا شَيْئًا إِلَّا أَخْتَبَنَا إِلَى مَا تَرَكَنَا وَوَدَدْنَا

لَوْ كَانَ مَا مَنَّا مَفْسِلًا مُتَوْسِمًا فِيهِ. وَمَالَمْ تَقَابِلْ: أَيْ مَا فَرَطْنَا فِي الْمَرَاجِعَةِ وَمَقَابِلَةِ
النَّسْخَةِ الْمُكْتَوَبَةِ حَدِيثًا عَلَى الْأُخْرَى الْمُصَحَّحةِ إِلَّا نَدَمْنَا لِتَوْرُنَا عَلَى أَخْطَاءِ
وَأَغْلَاطِ فِي النَّسْخَةِ الْمُحَدِّثَةِ.

صنف الفلاسفة لاصنف السلف : ومن مشايخنا من كره استهان
 المركب ^(١) الآخر . ومن تعظيم العلم تعظيم الشر كاء في طلب العلم والدرس
 ومن يتعلم منه . والتعلق ^(٢) المذموم إلا في طلب العلم ، فإنه ينبغي أن يتعلق
 لاستاذه وشر كاه ليستفيد منهم ، وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة
 بالتعظيم والحرمة ، وإن سمع المسألة الواحدة أو الكلمة الواحدة ألف مرة
 قيل من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة كتعظيمه في أول مرة ، فليس بأهل
 للعلم وينبغي لطالب العلم الاختار نوع علم بنفسه بل يفوض أمره إلى الاستاذ
 فإن الاستاذ قد حصل له التجارب في ذلك فكان أعرف بما ينفي لكل أحد
 وما يليق بطيئته . وكان الشيخ الإمام الأجل الاستاذ برهان الدين يقول
 كان طلبة العلم في الزمان الأول يفوضون أمورهم في التعلم إلى استاذهم ،
 فكانوا يصلون إلى مقاصد هم ومرادهم ; والآن يختارون بذاته فلا يحصل

(١) المركب : المداد

(٢) التعلق : التردد والتلطف . والتعلق المذموم هو المتكلف المصطنع استجابة
 لفائد مادية لأنها جبنة يدل على الضعف والمهابة والصغار .

مَقْصُودُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَكَانَ يَحْكُمُ أَنْ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيَّ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ بَدَأَ بِكِتَابِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْنَى، فَقَالَ اللَّهُمَّ مُحَمَّدُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى: أَذْهَبْ وَتَعْلَمْ عِلْمَ الْمَدِيْثِ. لِمَا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ الْبَقِيْبُ بِطْبَعِهِ فَطَلَبَ عِلْمَ الْمَدِيْثِ فَصَارَ فِي مُقْدِمَاعَلِ جَمِيعِ أُمَّةِ الْمَدِيْثِ. وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَجْلِسْ قَرِيْبًا مِنَ الْأَسْتَاذِ عِنْدَ السِّبْقِ^(١) بِغَيْرِ ضُرُورَةٍ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَدِنْهُ وَبَيْنَ الْأَسْتَاذِ قَرْ قَوْسِ، فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيمِ. وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَبْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الْذَّمِيْمَةِ، فَإِنَّهَا كَلَبٌ مَعْنُوَةٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةَ يَيْتَأْ فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ. وَإِنَّهَا يَتَلَمَّ الْإِنْسَانُ بِوَاسْطَةِ الْمَلَكِ، وَالْأَخْلَاقِ الْذَّمِيْمَةِ تُعْرَفُ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ، وَكَتَبَنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ يَائِنَّا. وَلِيَبْتَرِزَ خُصُوصَاتُ التَّكْبِيرِ قَعْ التَّكْبِيرِ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ. قِيلَ:

(١) السبق: استماع المرس، وكانه أخذه من قوله تعالى في سورة النازعات «فَالسَّابِقَاتِ سَبِقَا» على رأى من فسره بأن الملائكة والجن كانوا يتسابقون إلى استماع الرس. .

الْعِلْمُ حَرْبٌ لِلْقَوْنِيَّ الْمُتَعَالِ كَالسَّيْلِ حَرْبُ الْمَكَانِ الْعَالِيِّ

وقيل :

بِحَمْدِي لَا يَجِدُ كُلُّ مَجْدٍ فَهُلَّ جَدٌ بِلَا جَدٍ بِحَمْدِي (١)

فَكُمْ عَبْدٌ يَقُولُ مَقَامُ حَرِّيْ وَكُمْ حَرِّيْ يَقُولُ مَقَامُ عَبْدٍ (٢)

﴿فَصَلْ فِي الْجَدِ وَالْمُواظِبَةِ وَالْمُهِمَّةِ﴾

لَمْ لَابْدَ مِنَ الْجَدِ وَالْمُواظِبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةِ فِي
الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيَّنَا تَهْدِيْنَاهُمْ سَبِيلًا» وَقَوْلِهِ تَعَالَى
«يَا يَحْيَىْ خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» وَقَدْ قِيلَ : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَ وَجَدَ ، وَمَنْ

(١) بِحَمْدِي بَكْسُرُ الْجِيمِ : أَى بِلْفَتِ الْعَلَا بِاجْتِهَادِي وَنَشَاطِي فَأَنْاعَصَمِي . لَا يَجِدُ
كُلُّ مَجْدٍ : أَى لَمْ أَصِلْ إِلَى غَرْبَى بِسَعِيْ غَيْرِي وَاجْتِهَادِي سَوَائِي فَلَسْتُ عَظَالِيَا فَهُلَّ
جَدٌ بِقَنْتِ الْجِيمِ : حَظٌ وَبَخْتٌ ، أَى أَنَّ الْحَظَّ وَالْبَخْتَ لَا يَفِيدُ شَيْئًا إِذَا لَمْ يَكُنْ
هُنَاكَ جَدٌ وَاجْتِهَادٌ ، وَفَرْضُ السَّعَادَةِ وَالْمَجْدِ تُسْنِحُ لِكُلِّ النَّاسِ أَوْ لَا كُثْرَمْ وَلَكِنْ
قَلِّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَزَرَّمُ ، فَهُنَّ كَالطَّائِرِ يَحْلِقُ فَوْقَ الرُّؤْسِ فَالْيَقْظَ الشَّيْطَنِ يَثْبِتُ إِلَيْهِ
وَيَعْسُهُ ، وَالْكَسُولُ الْبَلِيدُ يَقْفَ أَمَامَهُ جَامِدًا

(٢) يَعْنِي أَنَّ الْجَدِ وَالْعَمَلِ يُرْفَعُ الْعَيْدُ الْأَذْلَاءِ إِلَى مَقَامِ السَّادَةِ الْأَبْجَادِ وَالْكُلُّ
وَالْمُنْوَلُ يُعْطَ السَّادَةِ الْأَشْرَافَ إِلَى حُضُورِ الْعَيْدِ الْأَذْلَاءِ .

قرعَ الْبَابَ وَلَجَ وَلَجَ (١). وَقِيلَ : يَقْدِرُ مَا تَسْتَغْفِي تَالُ مَا تَسْتَغْفِي قِيلَ : يَحْتَاجُ
 فِي التَّعْلِمِ وَالتَّفَقُهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةَ : الْمُتَلَمِّعُ وَالْأَسْتَاذُ وَالْأَبُ إِنْ كَانَ فِي
 الْأَحْيَا أَنْشَدَ الشِّيخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ سَدِيدُ الدِّينِ الشِّيرَازِيَّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ :

الْجِدِيدُ يَدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَابِعٍ وَالْجِدِيدُ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُفْتَقِّ
 وَاحْتَقَ خَلْقُ اللَّهِ بِالْمَمْأُورِ ذُو هَمَّةٍ يُبَلِّي بِعِيشٍ ضَيْقٍ
 وَمِنَ الدِّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ يُؤْسِ اللَّيْبَ وَطَبِيبُ عِيشِ الْأَحْقِ (٢)
 لِكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَّةَ حُرِمَ الْقَيْ ضِدَانٍ يَفْرَقَانِ أَىْ تَفْرِقَ

(١) لَجْ : أَلْحَ وَشَدَدْ. وَلَجْ : دَخْلَ

(٢) حيث كان يجب أن يكون البيت هو التقى الطيب العيش لتفوته بعقله
 وذاك أنه فلارأينا الأحق الذي هو الأكفر غنى والأطيب عيشاً عرفنا أو هناك
 قوة أخرى هي التي قلبت الأمر وعكست ما يقتضيه العقل والمنطق وتلك القوة
 هي التي يسميهما الشاعر حكم القضاء أى قضاء الله وحكمه. ولكن ما أحسن قول المتنبي:
 ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النَّعْمِ بِعَقْلِهِ وَأَشْوَى الْجَهَالَةِ فِي الشَّفَاوَةِ يَنْعَمُ

وَانْشَدَتْ لِغَرِيرِهِ :

مَنْيَتْ أَنْ تُمْسِي فِيْهَا مُنَاظِرَا بَغْيَرِ غَنَاء وَالْجُنُونُ فَنُونُ
وَلَيْسَ اكْتَسَابُ الْمَالِ دُونَ مَشْقَةٍ تَحْمِلُهَا، فَالْعِلْمُ كَيْفَ يَكُونُ؟ (١)
قَالَ أَبُو الطَّيْبِ :

وَلَمْ أَرْ فِي عَيْوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنْقُصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْتَّامِ (٢).

وَلَا بُدَّ لِلطالبِ مِنْ سَهْرِ الْيَالِيِّ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
بِقَدْرِ الْكَدْ تُكَتَّبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَمَاءَ سَهْرِ الْيَالِيِّ
تَرَوْمُ الْعِزِّ نَمْ تَنَامُ يَنْلَا يَغُوصُ الْبَحْرَ مِنْ طَلَبِ الْأَلَى
عَلَوْ الْكَعْبِ (٢) بِالْمَعْلِمِ الْعَوَالِيِّ وَعَزْ الْمَرْءُ فِي سَهْرِ الْيَالِيِّ

(١) أى يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأنًا وأصعب
متناً من المال

(٢) أى أن أعظم عيوب القادرين هو تقصيم عن بلوغ النهاية فيما يقدرون
عليه بسب الإهمال والتغريط والكسل
(٣) يعني ارتفاع الشأن .

وَمَنْ رَأَمَ الْعَلَا مِنْ غَيْرِ كَدِ أَضَاعَ النَّعْمَ فِي طَلْبِ الْمَحَالِ
تَرَكَتُ النَّوْمَ رَبِّي فِي الْلَّيَالِ لِأَجْلِ رِضَاكَ يَأْمُولَ الْمَوَالِ
فَوَقَقْتُ إِلَى تَحْصِيلِ عِلْمٍ وَبَلَقْتُ إِلَى أَقْصَى الْمَعَالِ
وَقِيلَ: أَخْذَ اللَّيْلَ جُلَّا تُدْرِكُ بِهِ أَمْلًا. قَالَ الْمَصْفُ(١) رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
وَقَدْ أَنْفَقَ لِي نَظَمٌ فِي هَذَا الْمَنْيَ :

مَنْ شَاءَ أَنْ يَمْتَحِنَ أَمَالَهُ جُلَّا فَلَيَتَخَذِّلْ لَيْلَهُ فِي دَرْكِهَا جَمَلًا
أَقْلَلَ طَعَامَكَ كَنْ تَحْظَى بِهِ ثَمَرًا إِنْ شَفَتْ يَاصَاحِبِي أَنْ تَلْعُجَ الْكَمَلَ(٢)
وَقِيلَ: مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ، فَقَدْ فَرَحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ، وَلَا بَدِ لِطَالِبِ
الْعِلْمِ مِنَ الْمُوَاطَبَةِ عَلَى الدِّرْسِ وَالشُّكْرَارِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ، فَإِنْ مَا يَنِينَ
الْعَشَائِنَ وَوَقَتِ السَّحَرِ وَقَتْ مُبَارَكٍ . قِيلَ فِي الْمَنْيَ شِعْرٌ :
يَأْطَالَ الْعِلْمُ يَأْشِرُ الْوَرَعَا وَجَنِّبَ النَّسُومَ وَأَرْكَ الشَّبَّاعَا

(١) يَرِيدُ نَفْسَهُ

(٢) الْكَمَلْ بفتح الْكَافِ وَالْمَيْمُونِ : الْكَامِلُ ، وَيَرِيدُ بِهِ الْكَامِلَ .

دَأْوِمٌ عَلَى الدَّرْسِ لَا تُفَارِقُهُ فَاللَّهُمَّ بِالدَّرْسِ قَامَ وَأَرْتَفَعَ
فَيَقْتِيمُ أَيَّامَ الْحَدَائِقَ وَعَنْفَوَانَ (١) الشَّبَابَ كَمَا قِيلَ :
بَقْدَرِ الْكَدَّ تُطَعَّمُ مَاتَرُومُ فَنَّ دَامَ الْمُنَى لَيْلًا يَقُومُ
وَأَيَّامَ الْحَدَائِقَ فَاغْتَمَهَا إِلَّا إِنَّ الْحَدَائِقَ لَا تَدُومُ
وَلَا يُجْهَدُ نَفْسَهُ جُهْدًا ، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقُطِعَ عَنِ الْعَمَلِ بَلْ
يَسْتَعْمِلُ الرُّفْقَ فِي ذَلِكَ ، وَالرُّفْقُ أَصْلُ عَظِيمٍ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ . قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِلَيْتَ هَذَا الدِّينَ مَتَّيْنُ ، فَأَوْغَلُوا (٢) فِي بِرِّ فِي ،
وَلَا تُبْخَضُ (٣) عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَ (٤) لَا أَرْضًا قَطَعَ
وَلَا ظَهَرَا أَبْقَى ». وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « نَفْسَكَ مَطْبَيْكُ فَارْفَقْ بِهَا ». وَلَا بُدُّ
لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنِ الْهُمَّةِ الْعَالِيَّةِ فِي الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الْمَرَّ يَطِيرُ بِهِمْتَهِ كَالْطَّيْرِ ،
يَطِيرُ بِجَنَاحِيهِ .

(١) عنفوان الشباب : قوته وحدته (٢) أوغلوا : اذمروا فيه وتعنفوا

(٣) تبغض على نفسك : تقل وتصعب

(٤) المنبت : المقطع عن السفر لاجهاده مطبه حتى تفقت .

قال أبو الطيب :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزِيمِ تَأْتِي الْعَزَامُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظِمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَنَارَهَا
وَتَصْفُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَامُ^(١)
وَالرَّأْسُ^(٢) فِي تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْجَدُّ وَالْمَهْمَةُ الْعَالِيَّةُ، فَنَّ كَانَتْ هُمَّتْهُ حَفْظَ
جَمِيعِ كُتُبِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَقْرَنَ بِذَلِكِ الْجَدُّ وَالْمَأْظَبَةُ،
فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نِصْفَهَا. فَإِنَّمَا إِذَا كَانَتْ لَهُمْهَةُ عَالِيَّةٍ، وَلَمْ
يَكُنْ لَهُ جَدٌ، أَوْ كَانَ لَهُ جَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْهَةُ عَالِيَّةٍ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا
الْقَلِيلُ. وَذَكَرَ الشِّيْخُ الْأَجْلُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ وَرِضَى الدِّينِ النِّسَابُورِيُّ رَحْمَهُ
اللَّهُ فِي كِتَابِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ أَنَّ ذَلِكَ الْقَرْنَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسَافِرَ لِيَسْتَوِيَ

(١) العزام: جمع عزيم وهي الإرادة والتصميم . والمعنى أن العزام والمكارم تكون بحسب أقدار فاعليها : فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة كانت هي عظيمة أيضاً فإذا كانت أقدار مهنة صغيرة كانت عزائمهم و مكارمهم صغيرة أيضاً لأن ضعيف المهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة . أمام المهمة ، كبير النفس ، فإنه يرى الأمور صغيرة و صغارها سهلة هينة .
(٢) الرأس في تحصيل الأشياء: يعني الأصل والأساس .

عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ شَاعِرَ الْحُكَمَاءِ فِي ذَلِكَ ، وَقَالَ : كَيْفَ أَسَافِرُ لِهَذَا
الْقَدْرِ مِنَ الْمُلْكِ فَإِنَّ الدِّينَ قَلِيلٌ فَانِيَةٌ وَمَلْكُ الدِّينِ أَمْرٌ حَقِيرٌ ، فَلِيَسْ هَذَا
مِنْ عُلُوَّ الْهَمَةِ . قَالَ الْحُكَمَاءُ : سَافِرْ لِيَحْصُلْ لَكَ مُلْكُ الدِّينِ وَالْآخِرَةِ .
قَالَ : هَذَا أَحْسَنُ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُورِ وَيَسْكُرُ سَفَافَهَا ^(١) . وَقِيلَ :

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْ فَمَا صَلَّى عَصَاكَ كَسْتَدِيمْ ^(٢)
قَالَ أَبُو حِيْفَةَ لِأَبِي يُوسُفَ رَحْمَهَا اللَّهُ تَعَالَى : كُنْتَ بِلِيْدَا فَأَخْرَجْتُكَ
الْمُوَاظِبَةَ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَسْلَ فَإِنَّهُ شُؤْمٌ وَآفَةٌ عَظِيمَةٌ . قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ
أَبُونَصَرُ الصَّفَارُ الْأَنْصَارِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

بِأَنْفُسِ يَأْنَسٍ لَا تُرْخِي عَنِ الْعَمَلِ فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي مَهَلٍ
لِكُلِّ ذِي عَمَلٍ فِي التَّحْيِيرِ مُعْتَدِلٌ وَفِي بَلَاهِ وَشُؤْمٍ كُلُّ ذِي كَسْلٍ

(١) السفاف : الردى الحقير

(٢) صَلَّى عَصَاكَ : أَيْ لِيَنْهَا بِالنَّارِ لِيَسْهُلْ تَقْوِيَهَا : وَالْمِنْيَ أَنْ خَيْرُ وَسَائِلْ تَقْوِيَمِ
الْمَوْجِ وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ ، الْإِسْتَدَامَةَ وَالْإِسْتَمَارَ .

فَالْمُصْنُفُ وَقَدْ اتَّفَقَ لِي فِي هَذَا الْمَعْنَى :

دَعَى نَفْسِي التَّكَسُّلَ وَالْتَّوَانِي وَإِلَّا فَأَنْتُ فِي ذَا (١) الْمَوَانَ
فَلَمْ أَرَ لِلْكَسَالِ الْحَظَّ يُعْطِي سَوَى نَدَمٍ وَحِرْمَانِ الْأَمَانِ
وَقِيلَ :

كُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَكُمْ بَعْزٍ وَكُمْ نَدَمٍ جِمْ تَوَلَّدُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسْلٍ (٢)
إِيَّاكَ عَنْ كَسْلِ الْبَحْثِ عَنْ شَيْءٍ فَأَعْلَمْ ، وَمَا قَدْ شَدَّ عَنْكَ سَلٍ (٣)
وَقَدْ قِيلَ : الْكَسْلُ مِنْ قَلَّةِ التَّأْمِلِ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ ، فَيَنْبَغِي لِلْسُّلْطَنِ
أَنْ يَعِثَّ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيلِ وَالْمَجْدِ وَالْمَوَاطِبَ بِالتَّأْمِلِ فِي فَضَائِلِ الْعِلْمِ ،
فَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى بِيَقَاءِ الْمَعْلُومَاتِ ، وَالْمَالُ يَفْنَى ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

(١) ذَا الْمَوَانَ : أى هَذَا الْمَوَانَ

(٢) الْمَرَادُ بِالْحَيَاةِ هَذِهِ الْحِجَلُ ، يَعْنِي أَنَّ الْكَسْلَ كَثِيرًا مَا يُجْلِي إِلَيْهِ
وَوَقَفَ عَاجِزًا نَادِمًا

(٣) إِيَّاكَ عَنْ كَسْلٍ : ابْتَدَعَ عَنِ الْكَسْلِ ، شَدَّ عَنْكَ : بَعْدَ عَنْكَ وَصَعْبَ عَلَيْكَ
أَنْ لَا تَوَانَ وَلَا تَنْفَرِطَ فِي الْبَحْثِ وَالتَّقْبِيبِ حَتَّى تَعْثَرَ عَلَى مَا يَرِيلُ مَا عَنْكَ مِنْ شَيْءٍ
وَشَكُوكٍ ، فَالَّذِي أَسْتَطَعْتُ أَنْ تَعْلَمَهُ بِنَفْسِكَ أَكْتَفَيْتُ بِهِ ، وَالَّذِي صَعْبَ عَلَيْكَ
الْاِهْتِدَاءُ إِلَى الصَّوَابِ فِيهِ فَاسْأَلْ عَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ .

ابن أبي طالب كرم الله وجهه :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
 فإن المال يقى عن قريب وإن العلم يقى لا يزال
 والعلم النافع يحصل به حسن الذكر ويقى ذلك بعد وفاته ، فإنه حياة
 أبدية . أنشدنا الشيخ الإمام الأجل ظهير الدين مفتى الأئمة حسن بن علي
 المعروف بالمرغباني رحمة الله تعالى :

الجاهلون قوتو قبل موتهم والعالمون وإن ماتوا فآحياء (١)
 وانشدنا شيخ الإسلام برهان الدين :

وفي الجهل قبل الموت موت لا يله فاجسامهم قبل القبور قبور
 وإن أمراً لم يحي بالعلم ميت وليس له حين النشور نشور (٢)

(١) موت : جمع ميت ، والفاء على تقدير أما في الكلام : أى أما الجاهلون
 فهم موت .

(٢) النشور : البعث ، يقال : يوم النشور أى يوم البعث .

وقال غيره :

أَخْرُ الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ السُّرَابِ رَمِيمُ^(١)
وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ يَمْشِي عَلَى التَّرَى
يُطْنَى مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ^(٢)

وقال آخر :

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاغْتَنَمَهُ
وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهَلٌ فَاجْتَنَبَهُ
وَأَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْأَسْتَاذُ شِيخُ الْإِسْلَامِ بِرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ
ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتْبَةِ الْمَرَاتِبِ
وَمِنْ دُونِهِ عِزُّ الْعَلَى فِي الْمَوَاكِبِ^(٣)
وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ التَّيَارِبِ^(٤)
فَذَا الْعِلْمِ يَبْقَى عِزَّهُ مُتَضَاعِفًا

(١) رَمِيمٌ : بالية وفانية

(٢) التَّرَى : التَّرَابُ النَّدِيُّ وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا الْأَرْضُ

(٣) الْمَوَاكِبُ جَمْعُ مَوْكِبٍ ، وَهُوَ الْجَمَاعَةُ السَّاَتِرَةُ رِكَابًا أَوْ مَشَاءً ، وَالْمَقْصُودُ
مَطْلَقُ الْجَمَاعَةِ ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْعِلْمُ مَنْزَلَتْهُ أَعْلَى الْمَنَازِلِ وَأَعْرَفَهَا وَكُلُّ الْمَعَالِ وَالرِّيَاسَاتِ
فِي الْجَمَاعَاتِ دُونَهُ فِي الْشَّرْفِ وَالرَّفْعَةِ

(٤) التَّيَارِبُ جَمْعُ تَيَارٍ وَهُوَ التَّرَابُ ، يَعْنِي أَنَّ الْمُتَعَلِّمَ لَا يَرُوْلُ عِزَّهُ وَمَجْدَهُ
بَعْدَ وَفَانَهُ بَلْ يَبْقَى كَامِلًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ ، وَقَدْ يَتَضَاعِفُ بِمَا بَيْنَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
سَعَادَةٍ وَنَعِيمٍ . أَمَّا الْجَاهِلُ فَإِنَّ عِزَّهُ يَرُوْلُ بَعْدَ دُفْنِهِ تَحْتَ التَّرَابِ .

فَهَمَّهَاتِ لَا يَرْجُو مَدَاءٌ مَنْ أَرْتَقَى رُقْ وَلِيَ الْمُلْكِ وَالِّكَتَابِ (١)
 سَأْلِي عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيهِ فَاسْمَعُوا
 فِي حَصْرٍ عَنْ ذِكْرِ كُلِّ الْمَنَابِ (٢)
 هُوَ النُّورُ كُلُّ النُّورِ يَهْدِي عَنِ الْعَيْنِ
 وَذُو الْجَهْلِ مِنَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْغَيَّابِ (٣)
 هُوَ النَّرْوَةُ الشَّهَاءُ تَحْمِي مَنِ التَّجَاهِ
 إِلَيْهَا وَيَعْشِي آمِنًا فِي التَّوَابِ (٤)
 بِهِ يَتَجَيَّى وَالنَّاسُ فِي غَفَلَاتِهِمْ
 يَرْجِي وَالرُّوحُ بَيْنَ التَّرَائِبِ (٥)
 إِلَى دَرَكِ التَّيْرَانِ شَرَّ الْعَوَاقِبِ (٦)
 بِهِ يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مَنْ رَاحَ عَاصِيَا

(١) مَدَاءٌ : غَايَةٌ ، وَالِّكَتَابِ : حَاكِمٌ ، الْكَتَابُ : جَمْعُ كِتَابٍ وَهِيَ الْفَرَقَةُ الْعَظِيمَةُ
 مِنَ الْجَنُودِ يَعْنِي أَنَّ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ أَصْحَابُ الْجَنُودِ الْمُدِيَّةِ وَالْجَيُوشِ الْكَبِيرَةِ
 لَا يَلْفُونُ مِنَ الْعَزِّ وَالْمَجْدِ مَلْعُونُ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ.

(٢) حَصْرٌ بِفُتُحِ الْحَاءِ وَالصَّادِ : بَعْزُ وَعِيٍ . الْمَنَابُ : جَمْعُ مَنَابٍ : الْمَفْخُرَةُ وَالْفَضْلَيَّةُ

(٣) مِنَ الدَّهْرِ : مَدِيَ الدَّهْرِ ، الْغَيَّابُ : جَمْعُ غَيْبٍ : الظَّلَامُ الشَّدِيدُ

(٤) النَّرْوَةُ : ذِرْوَةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ فَدْرَوْةُ الْجَبَلِ قَفْهُ ، وَالشَّهَاءُ : الْمُرْفَعَةُ
 الْمَالِيَّةُ ، أَيْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ الْمَالَكِ ، وَيَعْصِيَهُ مِنَ الْمَاطِبِ كَمَا تَحْمِي النَّرْوَةُ
 الْمَالِيَّةُ مِنَ التَّجَاهِ إِلَيْهَا وَتَجْيِي مِنْ اعْتَصَمَ بِهَا (٥) يَتَجَيَّى : يَطْلُبُ النَّجَاهَ ، التَّرَائِبُ :
 عَظَامُ الصَّدْرِ ، يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ يَنْجِي مِنَ الْضَّلَالِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمِنَ الْعَذَابِ فِي
 الْآخِرَةِ وَيَرْجُو الْمَرْءُ حِينَ تَحْضُرُهُ الْوَقَاءُ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبَهُ

(٦) يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ مَنْ رَاحَ عَاصِيَا : أَيْ يَضْمُمُ الْعَالَمَ بِعَصْرِ حَسَنَاتِهِ إِلَى حَسَنَاتِ

فَنَ رَامَهُ رَامَ الْمَارِبَ كُلُّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلُّ الْمَطَالِبِ (١)
 هُوَ الْمَنْصُبُ الْعَالِي فَيَأْصَابُ الْحِجَاجَ
 إِذَا نَلَتْهُ هُونَ بِقُوَّتِ الْمَنَاصِبِ (٢)
 فَنَمْضَ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ
 فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطَيْبُ نَعِيْمَهَا
 وَأَنْشَدْتُ لَعْنَهُمْ :

إِذَا مَا عَنَزَ ذُو عِلْمٍ بِلِمْ فَعَلِمُ الْفَقْهَ أَوْنَى بِأَعْتَازَ
 فَكُمْ طَيْبٌ بِفُوحٍ وَلَا كَسْكَ وَكُمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي (٣)

من مات عاصباً، فترجع حسناته على سباته فيغفر له الله ويعفو عنه . والدرك جمع دركة وهي المزلة . فهي في المبوط تقابل الدرجة في الصمود . والمراقب جمع عافية وهي النهاية . وشر بالجر صفة للتيار .

(١) رَامَهُ : طَلَبَهُ ، وَالْمَارِبَ جَمْعَ مَارِبَ : الغَرْضُ وَالْمَطْلَبُ .

(٢) الْمَنْصُبُ بِقُوَّتِ الْمَيْمَ وَالصَّادُ : الْمَقَامُ . الْحِجَاجُ : الْمَقْلُ ، هُونَ بِقُوَّتِ الْمَنَاصِبِ : اعْتَدَ فَوَاتِ الْمَنَاصِبِ الْأُخْرَى وَضَيَاعُهَا وَالْحَرْمَانُ مِنْهَا أَمْرَاهِنَا الْأَيُّوبُهُ وَلَا يَهُمْ بِهِ بِفُوحٍ يُنْشَرُ . وَالْبَيْتُ يَنْضَمُ مِنْهُ مِنْهُ مِنْهُ مِنْهُ لِيَانُ فَضْلُ الشَّيْءِ وَغَيْرِهِ أَفْضَلُ مِنْهُ : فَكُمْ طَيْبٌ بِفُوحٍ وَلَا كَسْكَ أَيْ أَنَّ الطَّيْبَ الَّذِي تُنْتَهِي إِلَيْهِ وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ كُلُّهُ وَلَكُنْهُ فِي طَيْبٍ رَانِحَهُ وَجَاهَ شَذَاهَ لِيَسْ كَالْمَسْكُ لَأَنَّ الْمَسْكَ أَطْيَبُ مِنْهُ وَأَذْكَرِي ، وَكَذَلِكَ وَكُمْ طَيْرٌ يَطِيرُ وَلَا كَبَازِي : مَعْنَاهُ أَنَّ الْبَازِي أَقْوَى الطَّيْبَوْرِ كُلُّهَا وَأَشَدُهَا طَيْرَانًا .

وأشدَّتْ أَيْضًا :

الْفِقْهُ أَنْفُسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَاهِرٌ
مَنْ يَدْرِسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَالِحَهُ^(١)
فَأَكْسَبَ لِنْفَسِكَ مَا أَصْبَحَتْ بِجَهَلِهِ فَأَوْلُ الْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرُهُ
وَكَنِّي بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ دَاعِيَا وَبَاعِيَا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ . وَقَدْ يَوْلُدُ
الْكَسْلُ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ وَطَرِيقُ تَقْلِيلِهِ تَقْلِيلُ الْطَّعَامِ . قِيلَ :
أَنْفَقَ سَبْعُونَ نَيْمًا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النَّسِيَانَ مِنْ كَثْرَةِ
الْبَلْغَمِ وَكَثْرَةِ الْبَلْغَمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ ، وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ
الْأَكْلِ ، وَالْمُخْبَزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَمَ ؟ وَكَذَلِكَ أَكْلُ الرِّيْبِ عَلَى الرِّيْقِ ،
وَلَا يُكْثِرُ مِنْهُ حَتَّى لَا يَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ فَيُزِيدُ الْبَلْغَمَ ، وَالسُّوَالُ يُقْلَلُ
الْبَلْغَمُ وَيُزِيدُ فِي الْحَفْظِ وَالْفَصَاحةِ ، فَإِنْسَنَةٌ سَنِيَّةٌ ، وَيُزِيدُ فِي ثَوَابِ الصَّلَاةِ
وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ؟ وَكَذَلِكَ الْقَىْءُ يَقْلِلُ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوبَاتِ ، وَطَرِيقُ تَقْيِيلِ

(١) المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقاً . وداخره: أى مدخره ومقصده ، من يدرس العلم أى يقرأه ، ولم يدرس مفاحيره أى لم تتعود أسباب نفحة ودواعى مجده .

الأكل التأمل في منافع فلة الأكل ، وهي الصحة والغفوة والإيتار ^(١)
وقد قيل :

فَعَارُ ثُمَّ عَارُ ثُمَّ عَارُ شَقَاءُ الْمَرْءِ مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ ^(٢)
وَعَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ فَنَرٌ يَغْضِبُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ^(٣) : الْأُكُولُ وَالْبَغْيُ وَالْمُتَكَبِّرُ » وَالتأمل ^(٤) فِي مَضَارِ كَثِيرَةِ
الأكل وهي الامراض وكللة الطبع . قيل : البطنة تذهب الفطنة ^(٥)
(حكى) عن جالينوس أَنَّهُ قَالَ : الرُّمانُ فَقْعٌ كُلُّهُ ، وَالسُّمُّكُ ضررٌ كُلُّهُ ،

(١) الإيتار : هو اختيار منفعة الغير ومصلحته عند تعارضها مع منفعة النفس
ومصلحتها ، كإذا كان اثنان في حالة عطش ومع أحدهما ما يكفيه وحده من
الماء فيقدمه لرفيقه ويحرم منه نفسه

(٢) أى أن الطعام وحده لا يستحق أن يشق الإنسان نفسه من أجله لأن
القليل منه يكفي ، والذى يستحق أن يشق الإنسان نفسه من أجله إنما هو العلم
لأنه السبيل الوحيد إلى المجد والشرف

(٣) جرم : إثم وذنب

(٤) والتأمل بالرفع لأن معطوف على التأمل في منافع فلة الأكل

(٥) البطنة بكسر الباء : امتلاء البطن بالأكل ، والفتحة بكسر الفاء :

الذكاء واليقظ .

وَقَلِيلُ السَّمَكَ خَيْرٌ مِّنْ كَثِيرِ الرَّمَانِ . وَفِيهِ أَيْضًا إِنْتَلَافُ الْمَالِ ، وَالْأَكْلُ
فَوْقَ الشَّيْعَ ضَرُرٌ لِلْخَصْنِ ، وَيُسْتَحْقِقُ بِهِ الْعَقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَالْأَكْلُ
يَغِيَضُ فِي الْقُلُوبِ ، وَطَرِيقُ قَتْلِيْلِ الْأَكْلِ أَنْ يَاكُلَ الْأَطْعَمَةَ الْدَّسْمَةَ ،
وَيُقْدَمُ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَافُ وَالْأَشْهَرُ ؛ وَلَا يَاكُلُ مَعَ الْجِمَاعِ ، إِلَّا إِذَا
كَانَ لَهُ عَرْضٌ صَحِيْحٌ فِي كَثْرَةِ الْأَكْلِ ، بَأْنَ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ
وَالْأَعْمَالِ الشَّافِةِ فَلِهُ ذَلِكَ

﴿ فَصْلٌ فِي بِدَايَةِ السُّبْقِ وَقَدْرِهِ وَتَرْتِيْلِهِ ﴾

كَانَ أَسْتَاذُنَا شِيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ (١) بَدَأَهُ
الْسُّبْقُ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ، وَكَانَ يَرْوِي فِي ذَلِكَ حَدِيْثًا ، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ وَيَقُولُ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِئَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا
وَقَدْ تَمَّ ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعُلُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ يَرْوِي هَذَا

(١) يَقُولُ : يَحْصُرُ وَيَقْصُرُ .

الْمَحْدِثَ عَنْ أَسْتَاذِهِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَجْلِ قَوَامِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيدِ
رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَمِعْتُ مِنْ أَنْقُبِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يُوسُفَ الْمَدَانِيَ رَحْمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَقْفُضُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ، وَهَذَا
لَا يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِي النُّورِ، وَهُوَ يَوْمٌ نَحْسِنُ فِي حَقِّ الْكُفَّارِ
فَيَكُونُ مُبَارَّاً لِلْمُؤْمِنِينَ (١)

وَأَمَّا قَدْرُ السُّبْقِ فِي الْأَبْدَاءِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَحْكُمُ
عَنِ الشَّيْخِ الْقَاضِيِ الْإِمَامِ عَمْرِ بْنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ الزَّرْبَجِيِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
أَنَّهُ قَالَ: قَالَ مَشَاخِخُنَا رَحْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدْرُ السُّبْقِ لِلْبَدْئِيِّ
قَدْرَ مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرَّفْقِ، وَيَزِيدُ كُلُّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِنَّهُ
وَإِنْ طَالَ السُّبْقُ وَكُثُرَ يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ، وَيَزِيدُ بِالرَّفْقِ وَالتَّدْرِيجِ
فَأَمَّا إِذَا طَالَ السُّبْقُ فِي الْأَبْدَاءِ (٢) وَاحْتَاجَ إِلَى الْإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَهُوَ

(١) الْحَقُّ أَنَّ الْأَيَّامَ كُلُّهَا قَسْتُوْيَ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنَّ التَّفَاؤلَ أَوَ التَّشَاؤمَ بِعِصْبَنِ
الْأَيَّامِ أَوِ السَّاعَاتِ لَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ.

(٢) فَأَمَّا إِذَا طَالَ السُّبْقُ فِي الْأَبْدَاءِ، يَعْنِي أَنَّ طَوْلَ الْاسْتِمَاعِ لَا يَنْبَغِي أَنْ

فِي الْأَتْهَاءِ أَيْضًا يَكُونُ كَذَلِكَ لَأَنَّهُ يَعْتَدُ ذَلِكَ . وَلَا يَرُكُّنْتَكَ الْعَادَةَ إِلَّا
يَمْجُدُكَ ثُمَّ ، وَقَدْ قِيلَ : السِّبْقُ حِرْفُ وَالْتَّكْرَارُ الْأَفْ (١) وَيَنْبَغِي أَنْ يَبْتَدِئَ
بِشَيْءٍ يَكُونُ أَقْرَبُ إِلَى فَهْمِهِ ، وَكَانَ الشِّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ شَرْفُ الدِّينِ
الْعَقِيلِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : الصَّوَابُ عِنْدِي فِي هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَاخِنَا
رَحْمَهُمُ اللَّهُ فِيمَا كَانُوا يَخْتَارُونَ لِلْبَيْنِي صَفَارَاتُ الْمُبْسُطِ (٢) ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ
إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّيْبِ ، وَابْعَدُ عَنِ الْمَلَلَةِ وَأَكْثَرُ وَقْوَاعِدَ النَّاسِ ، وَيَنْبَغِي
أَنْ يَعْلَمَ السِّبْقُ بَعْدَ الضَّيْبِ (٣) وَالْإِعَادَةَ كَثِيرًا ، فَإِنَّهُ تَافِعٌ جَدًّا ، وَلَا يَكْتُبُ
الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُورِثُ كَلَّةَ الطَّبِيعِ ، وَيُذَهِّبُ النُّفُطَةَ وَيُضِيعُ
أَوْقَاتَهُ ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْفَهْمِ عَنِ الْأَسْتَاذِ ، أَوْ بِالْتَّأْمِلِ وَالْتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ

يُزِيدُ عَلَى أَنْ يَعْدَ الْبَيَانَ وَالشَّرْحَ مَرَتَيْنَ فِي الْمَرْضَوْعِ الْوَاحِدِ ، أَمَا إِذَا زَادَ عَنِ
ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَمْتَدُ طَوْلَ الْاسْتِنَاعِ وَتَكْرَارِ الشَّرْحِ فَيُطْلُو فَهْمَهُ وَيَتَبَدَّلُ عَقْلَهُ

(١) السِّبْقُ حِرْفُ وَالْتَّكْرَارُ الْأَفْ أَيْ تَعْلِمُ قَلِيلًا وَكَرِرُ مَا تَعْلَمَهُ كَثِيرًا ،
وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ : قِرَاءَةُ كِتَابٍ وَاحِدٍ مَرَتَيْنَ أَنْفَعُ مِنْ قِرَاءَةِ كِتَابَيْنِ مَرَةً وَاحِدَةً .

(٢) يَعْنِي الْكِتَابَ الصَّنِيَّةَ الَّتِي تَضُمُّ خَلَاصَاتَ الْكِتَابِ الْمُطَرَّلَةِ .

(٣) تَعْلِيقُ السِّبْقِ : كِتَابَةُ خَلَاصَةِ الدِّرْسِ وَهُوَ مَا يُسَمِّي الْآنَ «بِالْمَلْخَصِ السِّبُورِيِّ» .

الشَّكَرَارِ، فَإِنَّهُ إِذَا قَلَ السَّبُقُ وَكَثُرَ الشَّكَرَارُ وَالثَّامِلُ يُدْرِكُ وَيَفْهَمُ، فَقَدْ قِيلَ حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعٍ وَقَرْبَيْنِ، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وَقَرْبَيْنِ^(١) وَإِذَا تَهَوَّنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْ مَرَّةً أَوْ مَرَّيْنَ يَعْتَدُ ذَلِكَ، فَلَا يَفْهَمُ الْكَلَامَ الْيَسِيرَ، فَيَنْبَغِي إِلَّا يَتَهَوَّنَ فِي الْفَهْمِ بَلْ يَجْتَهِدْ وَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَتَضَرُّعُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ مِنْ دُعَاءِهِ، وَلَا يُحِبُّ مِنْ رِجَاهُ، أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجْلُ قَوَامُ الدِّينِ حَمَادُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَّفارِ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِمَلَاءً لِلْقَاضِي الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ السَّعْجَزِرِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ :

أَخْدُمُ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيدِ وَأَدْمَمُ دَرْسَهُ بِعَقْلِ حَمِيدِ
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعْدَهُ ثُمَّ أَكْدَهُ غَايَةَ التَّأْكِيدِ
ثُمَّ عَلَقْتُهُ كَيْ تَعُودَ إِلَيْهِ وَإِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْكِيدِ
وَإِذَا مَا أَمْنَتَ مِنْهُ فَوَّاً فَاتَّدَبْ بَعْدَهُ لَشَيْءٍ جَدِيدٍ^(٣)

(١) وَقَرْبَيْنِ مَشْتَى وَقَرْ بَكْسَرُ الْوَاءُ : الْحَلْلُ التَّقِيلُ.

(٢) فِي بَعْضِ النَّسِينِ : السَّرْخَسِيِّ (٣) فَاتَّدَبْ : سَارَعَ، أَى كَلَا تَوَقَّتْ مِنْ فَهْمِ شَيْءٍ وَحَفِظْهُ وَأَمْنَتْ مِنْ نَسْيَانِهِ، بَادَرَ إِلَى تَعْلُمِ غَيْرِهِ .

مَعَ تَكْرَارِ مَا قَدَمَ مِنْهُ أَعْتَدَ شَافِ مُذَيْدٍ
ذَا كِرَّ النَّاسَ بِالْعُلُومِ لِتَعْيَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولَى النَّهَى يَعِيدُ
إِنْ كَتَمَ الْعُلُومَ أُنْسِيَ حَتَّى لَاتَّرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَلِبِيدٍ
ثُمَّ أَبْنَتَ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّيَتْ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (١)
وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمَذَاجَرَةِ وَالْمُنَاظِرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ بِالْإِنْصَافِ وَالثَّائِرِ وَالثَّامِلِ، وَيَتَرَزُّ عَنِ الشَّغْبِ وَالْعَضَبِ ، فَإِنْ
الْمُنَاظِرَةُ وَالْمَذَاجَرَةُ مُشَارِرَةُ ، وَالْمُشَارِرَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِاِسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ
وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالسَّأْمَلِ وَالثَّائِرِ وَالْإِنْصَافِ ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْعَضَبِ
وَالشَّغْبِ ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ إِلَزَامُ الْخَصْمِ فَلَا تَحْلُ الْمُنَاظِرَةُ ، وَإِنَّمَا يَحْلُ
لِإِظْهَارِ الْحَقِّ . وَالْتَّمَوِيَّةُ وَالْمِحِيلَةُ فِيهَا لَا يَجُوزُ إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مُتَعَنِّتًا
لِأَطَالِبِ الْحَقِّ

(١) فِي هذِينِ الْبَيْتَيْنِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَلِمَ عَلَيْهِ
فَكَتَمَهُ الْجَمِيعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ مِنْ نَارٍ» وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا آتَى اللَّهَ
أَحَدًا عَلَيْهِ إِلَّا أَخْذَهُ عَلَيْهِ الْمِيزَانُ إِلَّا بِكَتَمِهِ أَحَدًا» .

وكان محمد بن يحيى رجُل الله تعالى إذا توجه عليه الإشكال ولم يحضره الجواب يقول : مَا لزمه لازم ، وَأَنَا فِيهِ نَاظِرٌ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ
وَفَانِدَةُ الْمُطَارَّةِ وَالْمَنَاظِرَةُ أَقْوَى مِنْ فَانِدَةِ بُجُرْدِ التَّكْرَارِ ، لَانَّ فِيهَا تَكْرَارًا
وَزِيَادَةَ قَدْ قِيلَ : مُطَارَّةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكْرَارٍ شَهْرٍ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَ
مَعَ مُنْصِفٍ سَلِيمٍ الطِّبِيعَةِ . وَإِلَيْكَ وَالْمَذَاكِرَةِ مَعَ مُعْنَفَتِ غَيْرِ مُسْتَقِيمِ الطِّبِيعَةِ
فَإِنَّ الطِّبِيعَةَ مُتَسَرِّيَةٌ ، وَالْأَخْلَاقُ مُتَعَدِّيَةٌ ، وَالْمُجاوِرَةُ مُؤْثِرَةٌ . وَفِي الشِّعْرِ
الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ فَوَانِدُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ قِيلَ :
الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهُ
وَيَبْتَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ مُتَامِلًا فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي دَقَانِ (١)
الْعُلُومِ وَيَعْتَادُ ذَلِكَ ، فَإِنَّا تَدْرُكُ الدِّقَانِيَّ بِالتَّامِلِ ، وَهَذَا قِيلَ : تَامِلٌ تَدْرُكُ ،
وَلَا بُدُّ مِنَ التَّامِلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُونَ صَوَابًا ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالْسَّهِمِ

(١) دَقَانُ الْعُلُومِ جَمِيعُ دِقَانِهِ : الْمَسَأَةُ الصَّعِيْبَةُ .

فَلَابدَ مِنْ تَقْوِيَّهِ (١) بِالتَّأْمِلِ قَبْلَ الرَّهْيِ حَتَّى يَكُونَ مُصِيَّاً، قَالَ فِي أُصُولِ
الْفَقِيهِ: هَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ الْفَقِيهِ الْمُنَاظَرُ بِالتَّأْمِلِ.
وَقِيلَ: رَأْسُ الْعُقْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ بِالثَّبَّتِ وَالتَّأْمِلِ. قَالَ الْقَاتِلُ:
أُوصِيكَ فِي نَظِيمِ الْكَلَامِ بِخَسْنَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوْصِيِّ الشَّفِيقُ مُطِيعًا
لَا تُنْفَلَنَ سَبَبُ الْكَلَامِ وَوَقْتُهُ وَالْكَيْفُ وَالْكَمْ وَالْمَكَانُ جِيَّسًا (٢)
وَيَكُونُ مُسْتَفِيدًا فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْعَاصِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَكْمَةُ ضَلَالُ الْمُؤْمِنِ، أَيْنَا وَجَدَهَا
أَخْذَهَا» وَقِيلَ: خُذْ مَاصَفًا وَدَعْ مَا كَدْرًا. وَسَعَى الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَسْتَاذُ
بَغْرَ الدِّينِ الْكَاشَانِيَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: كَانَتْ جَارِيَةً أَبِي يُوسُفَ رَحْمَهُ
الَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحْمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهَا مُحَمَّدٌ: هَلْ تَحْفَظِينَ فِي هَذَا

(١) تَقْوِيَّهُ: تَسْبِيْهُ وَتَصْوِيْهُ نَحْوُ الْمَدْفَعِ

(٢) السُّكْفُ: أَيْ طَرِيقَةٍ لِإِلَاقَةِ الْكَلَامِ مِنْ خَفْضِ الْمُصْوَرِ وَرَفْعِهِ، وَمِنْ
هَدْوَهُ وَلَطْفِهِ أَوْ شَدَّدَهُ وَعَنْفِهِ، وَالْكَمُ: الْمُقْدَارُ مِنْ إِلْجَازِ أَوْ إِسْهَابِ، حَسْبِ
مَقْتَضَى الْحَالِ.

الوقت من أبي يوسف في الفقه شيئاً ؟ قالت : لا ، إلا أنه كان يُكرر
 ويقول سهم الدور ^(١) ساقط . فحفظ ذلك منها ، وكانت المسألة مشكلة
 على محمد رحمه الله تعالى ، فارتفع إشكاله بهذه الكلمة فعلم أن الاستفادة
 مشكلة من كل أحد ، ولهذا قال أبو يوسف رحمه الله حين قيل له : يم
 أدرستك العلم ؟ قال : ما أستكفت من الاستفادة وما خللت بالافادة .
 قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما : يم أدرستك العلم ؟ قال : بلسان
 سؤل ، وقلب عقول . وإنما سمي طالب العلم : ما تقول ، لكثرة ما كانوا
 يقولون في الزمان الأول : « ما تقول في هذه المسألة ؟ » وإنما تفقة
 أبو حنيفة رحمه الله تعالى بكثرة المطارحة والمذكرة في دكانه حين كان
 برازاً ^(٢) ، وبهذا يعلم أن تحصيل العلم والفقه يجتمع مع الكسب وكان
 أبو حفص الكبير رحمه الله يكتسب ويُكرر . فإن كان لا بد لطالب العلم

(١) سهم الدور ساقط : أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب ، وهو خاص
 بمسألة فقهية مشهورة في الميراث

(٢) البراز : باع الثياب والمنسوجات .

من الْكَسْبِ لِنَفَقَةِ عِيَالِهِ وَغَيْرِهِمْ فَلَا يَكْتَسِبُ وَلَا يُسْكِرُ وَلَيْذَا كَرُوا لَا يَكْسِلُ
وَلَا يَسْكُنُ أَفْرَارَ
وَلَيْسَ لِصَحِيحِ الْبَدْنِ وَالْعُقْلِ عَذْرٌ فِي تَرْكِ الْعِلْمِ وَالنَّفَقَةِ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ أَفْرَارَ
مِنْ أَبِي يُوسُفَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلِمَ يَعْنِيهِ ذَلِكَ مِنَ النَّفَقَةِ فَنَّ كَانَ لَهُ مَالٌ
كَثِيرٌ فَنَعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ الْمُنْصَرِفِ فِي طَرَيْقِ الْعِلْمِ ۝ قِيلَ
لِلْعَالَمِ : يَمَّا أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ ؟ قَالَ : بِابِ غَنَىٰ ، لَانَّهُ كَانَ يَصْطَدِعُ بِهِ^(١) أَهْلَ
الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ فَإِنَّهُ سَبَبَ زِيَادَةَ الْعِلْمِ لَانَّهُ شُكِّرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعُقْلِ وَالْعِلْمِ ، وَهُوَ
سَبَبُ^(٢) الزِّبَادَةِ ، قَالَ أَبُو حِينَفَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى : إِنَّمَا أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ بِالْحَدَّةِ
وَالشُّكْرِ فَكُلُّمَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِنَ الْعِلُومِ وَوَقَفْتُ عَلَى فَقْهِ وَحِكْمَةِ قُلْتُ الْمَحْدَثَةِ
تَعَالَى ، فَازْدَادَ عَلَىِّ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغلَ بِالشُّكْرِ بِالسَّانِ
وَالجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَالِ ، وَيَرِي الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْفِيقَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
وَيَطْلُبُ الْمُهَدِّيَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّنْيَا مِنْهُ وَالتَّضَرُّعَ إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادِيٌّ مِنْ

(١) يصطعن به أهل العلم : يبرم ويحسن إلهم

(٢) وهو سبب الزيادة: أى والشكر هو سبب الزيادة لقوله تعالى: «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

أَسْتَهَدُهُ، فَاهْلُ الْحَقِّ وَمَمْأُولُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ طَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى،
الْحَقُّ الْمُبِينُ الْمَادِيُّ الْعَاصِمُ، فَهَدَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى وَعَصَمُهُمْ عَنِ الْضَّلَالَةِ، وَاهْلُ
الْضَّلَالَةِ أَعْجَبُوا^(١) بِرَأْيِهِمْ وَعَقْلِهِمْ وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمُخْلُوقِ الْعَاجِزِ، وَهُوَ
الْعُقْلُ، لَأَنَّ الْعُقْلَ لَا يَدِرُكُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ، كَمَا الْبَصَرُ لَا يُصْرِرُ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ
فَجُبُوا، وَعَجَزُوا وَضَلُوا وَأَضَلُوا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «مِنْ عَرَفَ
نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»، فَإِذَا عَرَفَ عَجَزَ نَفْسَهُ عَرَفَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ.
وَلَا يَعْتَدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ،
وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ^(٢) وَيَهْدِيهِ إِلَى صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ. وَمَنْ كَانَ
لَهُ مَالٌ فَلَا يَبْخُلُ. وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَعَوَّذَ يَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبَخْلِ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبَخْلِ! وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الْإِمَامُ الْأَجْلَى
شَهِيدُ الْأَئمَّةِ الْمُلْوَانِيُّ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَقِيرًا، يَبْيَعُ الْمُلْوَانَ، وَكَانَ يَعْطِي

(١) أَعْجَبُوا بِرَأْيِهِمْ: فَرَحُوا بِهِ وَسَرُوا مِنْهُ.

(٢) حَسْبُهُ: كَافِيهِ، وَهَذَا اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ.

الْفُقَهَاءِ مِنَ الْمُلُوَّاءِ وَيَقُولُ : أَدْعُو لَأَبْنِي ! فَبِرْكَةُ جُودِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَتَضْرِعِهِ
نَالَ أَبْنَهُ مَانَالَ ، وَيَشْتَرِي بِالْمَالِ الْكُتُبَ . وَيَسْتَكْبُ فَيَكُونُ عَوْنَانِ عَلَى
الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَقَدْ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحَسَّنَ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى مَالُ كَثِيرٍ ، حَتَّى
كَانَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِهِ ، فَانْفَقَهُ كُلُّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، وَلَمْ يَبْقِ لَهُ
ثَوْبٌ نَفِيسٌ ، فَرَأَاهُ أَبُو يُوسُفَ رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى فِي ثَوْبٍ خَلِقٍ ، فَأَرْسَلَ
إِلَيْهِ ثَيَابًا نَفِيسَةً ، فَلَمْ يَقْبِلُهَا وَقَالَ : بَعْلُ لَكُمْ وَأَجْلُ لَنَا
وَلَعِلَّهُ إِنَّمَا مَا يَقْبِلُهَا وَإِنْ كَانَ قَبْوُلُ الْمَهْدِيَّةِ سُنَّةً ، لَمَّا رَأَى أَنَّ فِي ذَلِكَ
مَذْلَلَ لِنَفْسِهِ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « لَيْسَ لِلَّهِ مِنْ أَنْ يُذْلِلَ نَفْسَهُ »
وَحُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ نَفَرَ الإِسْلَامِ الْأَرْسَابِنِيَّ رَحْمَةُ اللهِ جَمِيعُ قُشُورِ الْبَطَيْخِ
الْمُلْقَأَةَ فِي مَكَانٍ خَالِقَفَسْلَهَا وَأَكَلَهَا فَرَأَاهُ جَارِيَّةً ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مُوَلَّاهَا ،
فَأَخْدَلَهُ دُعْوَةً وَدُعَاءً إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَقْبِلْهُ (١) وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ
أَنْ يَكُونَ ذَاهِمًا عَالِيَّ لَا يَطْمَعُ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

(١) اتَّخَذَ لَهُ دُعْوَةً : أَى أَعْدَلَهُ طَعَامًا . لَهُذا : أَى لَثَلَا بِذَلِلَ نَفْسَهُ .

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ فَإِنَّهُ قَرُّ حَاضِرٍ^(١)
وَلَا يَخْلُ بِمَا عَنْهُ مِنَ الْمَالِ ؛ بَلْ يُنْفَقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ : وَقَالَ
الَّذِي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِي قَرْ »^(٢) ، وَكَانُوا
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يَتَعَلَّمُونَ الْحِرْفَةَ ثُمَّ يَتَعَلَّمُونَ الْعِلْمَ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي أَمْوَالِ
النَّاسِ ؛ وَفِي الْحِكْمَةِ : مَنْ أَسْتَقَى بِمَالِ النَّاسِ أَفَقَرَ ، وَالْعَالَمُ إِذَا كَانَ طَمَاعًا
لَمْ تَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ ، وَلَا يَقُولُ بِالْحَقِّ ، وَلَهُذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الْشَّرِيعَةِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَقُولُ : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَاعٍ يُدْعِي إِلَى طَبِيعَ^(٣) ، وَيَنْبَغِي
لِلْمُؤْمِنِ أَلَا يَرْجُو إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَخَافُ إِلَّا مِنَهُ تَعَالَى ، وَيَظْهُرُ ذَلِكُ
بِمَجَاوِذَةِ حَدِّ الْشَّرِيعَةِ وَعَدْمِهَا ، فَمَنْ عَصَى أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْخَلُوقِ قَدْ

(١) إِيَّاكَ وَالظُّلْمَ لِخَ : يَعْنِي أَنَّ الرَّجُلَ إِنْمَا يَطْمَعُ لَحْوَهُ مِنْ قَرْ مُتَوْجِعٍ
وَالظُّلْمَ قَرْ حَاضِرٌ فَهُوَ يَتَجَأَ إِلَى الْفَقْرِ خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ كَالْمُتَجَيِّرِ مِنَ
الرَّمَضَانِ بِالنَّارِ

(٢) النَّاسُ .. لِخَ : تَنْسَبُ هَذِهِ الْحِكْمَةُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ

(٣) الطَّبِيعُ بِكَسْرِ الْأَلَاءِ وَفَتْحِ الْبَاءِ : الْمَدْفَسُ وَالْمَيْبَبُ

خَافَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ تَعَالَى لَحْفَ الْخَلُوقَ وَرَأَقَبَ حَدُودَ
الشَّرِيعَ ، فَلَمْ يَخْفَ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى بَلْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَكَذَا فِي جَانِبِ الرَّجَاءِ^(١)
وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعْدُ وَيُقْدِرْ لِنَفْسِهِ تَقْدِيرًا فِي التَّكَرَارِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَقِرُ قَبْلَهُ حَتَّى يَلْعُغُ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكَرِّرْ سَبْقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَاتٍ ، وَسَبْقَ الْيَوْمِ
الَّذِي قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَاتٍ ، وَالسَّبْقُ الَّذِي قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَالَّذِي
قَبْلَهُ أَثْنَيْنِ ، وَالَّذِي قَبْلَهُ مَرَةً وَاحِدَةً ، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الْحَفْظِ ، وَيَنْبَغِي
إِلَّا يَعْتَادُ الْمُخَاتَّةَ فِي التَّكَرَارِ لِأَنَّ الدُّرْسَ وَالتَّكَرَارَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَا
بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ ، وَلَا يَجْهَرَ جَهْرًا بِجَهْدِ نَفْسِهِ كَيْلًا يَنْقَطِعُ عَنِ التَّكَرَارِ ، تَغْيِيرُ
الْأَمْرُوْرَ اُوْسَطَهَا

حُكِّمَ أَنَّ أَبَا يُوسُفَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَذَّكِّرُ الْفَقَهَاءَ بِقُوَّةٍ
وَنَشَاطٍ ، وَكَانَ صَهْرَهُ عَنْدَهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ

(١) يَعْنِي إِذَا لَمْ يَعْصِ اللَّهَ رَجَاءً مُخْلُوقَهُ فَهُوَ فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَرْجِعْ غَيْرَ اللَّهِ .

منذ خمسة أيام، ومع ذلك يُناطر بقُوَّةٍ ونشاطٍ. وينبغي ألا يُكُون طالبُ
العلم فتره^(١) فاِنْهَا آفَةٌ، وَكَانَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّينِ رَحِيمٌ
اللهُ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّمَا فَقَتُ شُرُّ كَانِيْ بِأَنِّي لَمْ تَقْعُ لِلْفَرَةِ فِي التَّحْصِيلِ .
وَكَانَ يُحَكِّي عَنْ شِيخِ الْإِسْلَامِ الْأَسْبِيْجَانِ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِي زَمَانِ تَحْصِيلِهِ
وَتَعْلِمِهِ فَتَرَهُ اثْنَيْ عَشَرَةَ سَنَةً بِانْقِلَابِ الْمُلْكِ ، نَفَرَجَ مَعَ شَرِيكِهِ فِي الْمُنَاظِرَةِ
إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُمَا الْأَسْتِمَارُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَظَلَّا بِدُرُسَانِهِ مَعًا اثْنَيْ
عَشَرَةَ سَنَةً ، فَصَارَ شَرِيكُهُ شِيخُ الْإِسْلَامِ لِلشَّافِعِيْنَ ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيَا ،
وَكَانَ أَسْتَاذُنَا الشِّيْخُ الْقَاضِيُّ الْإِمَامُ شَرُّ الْإِسْلَامِ قَاضِيْخَانَ يَقُولُ :
يُنَبَّغِي لِلْفَتَنَةِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفَقْهِ دَائِمًا لِيَقِيسِرَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ حَفْظُ مَا يُسْمَعُ مِنَ الْفَقْهِ

(١) الفتره: العطلة ، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا
المذاكره أثناء عطلة الصيف .

﴿فصل في التوكل﴾

ثُمَّ لَأَبْدَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوْكِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَا يَهْتَمُ لِأَمْرِ الرِّزْقِ
وَلَا يَشْغُلُ قَلْبَهُ بِذَلِكَ . رَوَى أَبُو حَيْفَةَ رَحْمَةَ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ
الْوَبِيدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَفَقَّهَ
فِي دِينِ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى هُمَّهُ وَرَزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، فَإِنَّ مَنْ أَشْتَغَلَ
قَلْبَهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوَّتِ وَالْكُسُوَّةِ، قَلَّمَا يَتَرَفَّعُ لِتَحْصِيلِ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الْأَمْرُورِ . قِيلَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُنْيَتِهَا وَأَقْدِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَامِيِّ^(١)
قَالَ رَجُلٌ لِنَصُورِ الْحَلَاجَ: أَوْصِنِي أَفَقَالَ: هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغُلْهَا
شَغَلَتْكَ . فَيَنْبَغِي لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغُلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ حَتَّى لَا تَشْغُلَ

(١) يسخر الشاعر من يخالطه بهذا البيت وبمحقره لأنه يقول له: إنك لا تستطيع
الجري في مجال المكارم والحمد، لأن هكذا محصور في السعي وراء الطعام والكسوة
ويقصد المصنف باشتباذه بهذا البيت أن يزيف ما يقوله من أن من اشتغل
قلبه بتحصيل الرزق قلما يفك في مكارم الأخلاق ومعالى الأمور .

بِهَا، وَلَا يَمْعَلُ العَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لَأَنَّ الْهَمَ وَالْحُزْنَ لَا يَرِدُ الْمُصْبَيْهِ وَلَا يَنْفَعُ
بِلِ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعُقْلِ وَالْبَدْنِ، وَيَخْلُلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَهْمِ لِأَمْرِ الْآخِرَةِ
لِأَنَّهُ يَنْفَعُ . وَإِنَّمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا هُمْ
الْمُعِيشَةُ، فَلَمْ رَأَدْ مِنْهُ قَدْرُهُمْ لَا يَخْلُلُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ وَلَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ شُغْلًا
يَخْلُلُ بِإِحْضَارِ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْهَمِ وَالْفَصْدِ مِنَ أَعْمَالِ
الْآخِرَةِ، وَلَا بُدُّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيلِ الْعَلَاقَةِ الْدِينُوِيَّةِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ .
وَلَهُذَا أَخْتَارُوا الْغُرْبَةَ . وَلَا بُدُّ مِنْ تَحْمِلِ النَّصْبِ وَالْمَشْقَةِ فِي سَفَرِ الْعِلْمِ كَمَا
قَالَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ فِي سَفَرِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَنْقُلْ
عَنْهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ : «لَقَدْ لَقِيَنَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصْبًا، لِيُعْلَمَ أَنَّ
سَفَرَ الْعِلْمِ لَا يَخْلُو مِنَ التَّعَبِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ
عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَجْرُ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ وَالنَّصْبِ . فَنَّصَبَ عَلَى ذَلِكَ
وَجَدَ لَذَّةَ تَقْوُقِ سَائِرِ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَلَهُذَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ إِذَا سَهَرَ
اللَّيَالِيَ وَأَخْلَقَ لَهُ الْمُشْكِلَاتُ يَقُولُ : أَيْنَ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مِنْ هَذِهِ الْلَّذَّاتِ؟

وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَشْتَغِلَ بِشَيْءٍ أَخْرَى غَيْرَ الْعِلْمِ ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ
الْفِقْهِ ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنَ رَحْمَةُ اللَّهِ : إِنَّ صِنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمَهَدِ إِلَى اللَّهِ
فَنَّ أَرَادَ أَنْ يَرُكَ عَلَنَا هَذَا سَاعَةً فَلَيْكُمْ كُلُّ السَّاعَةِ (١)

وَدَخَلَ فَقِيهٌ عَلَى أَبِي يُوسُفَ يَعُودُهُ فِي مَرَضٍ مُّوْتَهُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لَهُ : رَمَيْتُ الْبَيْتَارَ رَأَيْكَ أَفْضَلُ أَمْ رَأْجَلًا ؟ فَلَمْ يَعْرِفْ
الْجَرَأَبَ ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ . وَهَكَذَا يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِي جَيْعَ
أَوْقَانِهِ فَيَنْتَذِرَ بَحْدَ لَذَّةِ عَظِيمَةٍ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ : رُؤْيَيْتُ مُحَمَّدًا فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتَهُ
فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ فِي حَالِ النَّزَعِ ؟ فَقَالَ كُنْتُ مَتَّمِلًا فِي مَسْأَلَةِ مِنْ
مَسَائِلِ الْمَكَابِ (٢) فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُروجِ رُوحِي ، وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ

(١) فَلَيْكُمْ كُلُّ السَّاعَةِ : يَرِيدُ أَنْ مِنْ شَرِيعَةِ فِي تَعْلِمِ الْفِقْهِ وَهُوَ يَنْبَغِي أَنْ يَرُكَ
الْاِشْتِغَالَ بِهِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ كَانَتْ إِرَادَتُهُ فِي تَعْلِمِ الْفِقْهِ ضَعِيفَةٌ وَتَصْسِيمِهِ
مَزْعُومًا وَمِنْ شَرِيعَةِ عَمَلِ شَيْءٍ وَهُوَ ضَعِيفُ الْإِرَادَةِ مَزْعُومُ التَّصْسِيمِ لَا يَنْجُزُهُ
وَلَا يَلْعُجُ مِنْهُ شَيْئًا ، لَا سِيَّما إِذَا كَانَ عَظِيمُ الشَّأْنِ جَلِيلُ الْقُدْرِ كُلُّ الْفِقْهِ ، وَإِذْن
فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَرُكَ الْاِشْتِغَالَ بِهِ لَأَنَّهُ جَيْنَذٌ غَيْرُ مُنْتَجٍ وَعَبْثٌ باطِلٌ

(٢) مُحَمَّدٌ : هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنَ . وَالْمَكَابِ بِصِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ : هُوَ الْمَبْدُ

عُرْهٗ : شَغَلْتَنِي مَسَائِلُ الْمُكَاتَبِ عَنِ الْإِسْتَعْدَادِ هَذَا الْيَوْمِ ، وَلِمَنْ قَالَ
ذَلِكَ تَوَاضُعًا .

﴿ فَصْلٌ فِي وَقْتِ التَّحْصِيلِ ﴾

قِيلَ : وَقْتُ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى الْتَّحْدِ ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ شَرْخُ
الشَّبَابِ (٢) وَوَقْتُ السَّحْرِ ، وَمَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالشَّبَابِ
وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ ، فَإِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمٍ يَشْتَغِلُ
بِعِلْمٍ آخَرَ ، وَكَانَ أَبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ
يَقُولُ : هَاتُوا دِيْوَانَ الشِّعْرَاءِ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ لَا يَنْامُ اللَّيْلَ وَكَانَ
يَضْعُمُ عِنْدَهُ الدَّفَاتِرَ ، وَكَانَ إِذَا مَلَّ مِنْ نَوْعٍ يَنْتَظِرُ فِي نَوْعٍ آخَرَ .

﴿ فَصْلٌ فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيحةِ ﴾

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْعِلْمِ مُشْفَقًا نَاصِحًا غَيْرَ حَاسِدٍ فَالْحَسَدُ يَضُرُّ

الَّذِي تَعَاقدُ مَعَ سَيِّدِهِ أَنْ يَمْتَهِنَهُ فَلَمَّا بَلَغَ مِنَ الْمَالِ مَوْجِلٌ يَصِيرُ حَرَآ بَعْدَ
سَدَادِهِ لِسَيِّدِهِ

(١) شَرْخُ الشَّبَابِ : أَوْلَهُ ، وَالسَّحْرُ : قِيلُ الصَّبَحِ ، وَالْمَشَامُ : الْمَرْبُوبُ وَالْعَشَاءُ .

وَلَا يَنْفَعُ . وَكَانَ أَسْنَادًا شَيْخُ الْإِسْلَامُ بِرَهَانُ الدِّينِ رَحْمَهُ اللَّهُ يَقُولُ : إِنَّ
أَبْنَى الْمُعْلِمِ يَكُونُ عَالِمًا ، لَأَنَّ الْمُعْلِمَ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ تَلَامِيذهُ عُلَمَاءَ ، فَيَرَكِهُ
أَعْتَقَادَهُ وَشَفَقَتَهُ يَكُونُ أَبْنَهُ عَالِمًا ، وَكَانَ يُحَسِّنُ أَنَّ الصَّدْرَ الْأَجَلَ بِرَهَانَ
الْأَئِمَّةِ رَحْمَهُ اللَّهُ جَمَّلَ وَقْتَ السَّبِقِ لِابْنِي الصَّدْرِ الشَّهِيدِ حُسَامِ الدِّينِ
وَالصَّدْرِ السَّعِيدِ تَاجِ الدِّينِ رَحْمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَقْتَ الضَّحْرَةِ الْكُبُرَى ،
بَعْدَ جَمِيعِ الْأَسْبَاقِ وَكَانَا يَقُولَا نَ : طَبَعْتَنَا تَكُلُّ وَتَمُلُّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ،
قَالَ أَبُو هُمَّا إِنَّ النُّرْبَاءَ وَأَوْلَادَ الْكُبُرَاءِ يَاتُونِي مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ ، فَلَا بُدُّ
مِنْ أَنْ أَقْدِمَ أَسْبَاقَهُمْ . فَيَرَكِهُ شَفَقَتَهُ تَفُوقُ أَبْنَاهُ عَلَى أَكْثَرِ فُقَهَاءِ أَهْلِ
الْأَرْضِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ

وَيَنْبَغِي إِلَّا يُنَازِعَ أَحَدًا وَلَا يُخَاصِمَهُ لِأَنَّهُ يُضِيَّعُ أَوْفَاهُ . قِيلَ : الْمُحْسِنُ
سِيَجَرَى يَأْخُذَهُ وَالْمُسِيَّ عَسْتَكْفِيهِ مَسَاوِيهِ وَأَشَدَّنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ رَكِنُ
الْإِسْلَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ يَامِمُ خَوَافِرَ زَادَهُ الْمَفْتَنُ رَحْمَهُ اللَّهُ
قَالَ أَشَدَّنِي سَلَطَانُ الشَّرِيعَةِ يُوسُفُ الْمَهْدَانِي رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَا تَجِزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوءِ فَعْلَهِ سَيْكَنْهِيَهُ مَافِيهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ
وَقِيلَ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغُمَ أَقْفَ عَدُوَهُ فَلِيُكْرِرْ هَذَا الشِّعْرَ . وَانْشَدَتْ :
إِذَا شِنْتَ أَنْ تُلْقِي عَدُوكَ رَاغِبًا وَتُقْتِلَهُ غَمَّا وَتَخْرِقَهُ هَمَّا
فَرْمِ لِلْعُلَّا وَأَزْدَدَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مِنْ أَزْدَادِ عِلْمِيَّا زَادَ حَاسِدَهُ غَمَّا (١)
وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغِلْ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لَا بِقَهْرِ عَدُوكَ . فَإِذَا قُتِّلْ بِمَصَالِحِ
نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوكَ ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَةَ فَإِنَّهَا تَفْضِلُكَ وَتُضَيِّعُ
أَوْقَاتَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْتَّحْمِلِ ، لَا سِيَّما مِنَ السُّفَهَاءِ . قَالَ عَيْسَى بْنُ مُرْيَمَ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ : أَحْتَمِلُوا مِنَ السُّفَيْهِ وَاحِدَةً كَيْ تَرْبُحُوا عَشْرًا
وَانْشَدَتْ لِبَعْضِهِمْ :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرَنَا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْغَيْ خَتَالَ وَقَالَ (٢)
وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقْعًا وَأَصَعَّبَ مِنْ مُعَادَةِ الرِّجَالِ

(١) رَمْ لِلْعُلَّا : أَطْلَبِ الْعُلَّا ، فَعَلَمْ أَمْرَ مِنْ رَامِ الشَّيْءِ : طَلْبَهُ .

(٢) خَتَال : مُخَادِع . قَالَ : كَارِه ، مِنْ قِلَّاهُ يَقْلِيلُهُ إِذَا كَرِهَهُ .

وَذَقْتُ مَرَأَةَ الْأَشْيَاءِ طَرَا فَأَشَىْ أَمْرٌ مِنَ السُّؤَالِ
وَإِيَّاكَ أَنْ تَظْنَ شَرًا بِالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْشَا الْعِدَاوَةِ وَلَا يَحْلُّ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «ظُنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ خَيْرًا» وَإِنَّمَا يَنْشَا ذَلِكَ مِنْ
خُبُثِ النَّيْةِ وَسُوءِ السُّرِيرَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّلِيبَ :
إِذَا سَأَلَ فَعْلَ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوْهِمٍ (١)
وَعَادَى حُمْبَقَ يَقُولُ عُدَانَهُ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكَّ مُظْلِمٍ (٢)
وَأَنْشَدَتُ لِبَعْضِهِمْ :

تَسْتَحِ عنِ الْقَبِيْحِ وَلَا تَرْدِهِ وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حَسَنَا فَرَدَهُ
سَتَسْكُنَ مِنْ عَدُوكَ كُلَّ كَيْدٍ إِذَا كَادَ الْعُدُوُّ فَلَا تُكَدِّهِ
وَأَنْشَدَتُ لِلشَّيْخِ الْعَيْدِ أَنِ الْفَتْحَ الْبَسِيْرَ رَحْمَهُ اللَّهُ :
ذُو الْفَقْلِ لَا يَسْلُمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسُومُهُ ظُلْمًا وَإِعْنَانًا (٣)

(١) يَعْتَادُهُ : يَنْتَابُهُ وَيَرْدُعُهُ مِنْ خَوَاطِرِهِ وَأَوْهَامِهِ

(٢) الْعِدَاوَةُ بِضْمِ الْعَيْنِ جَمْعُ الْمَادِيِّ : وَهُوَ الْمَدُّ

(٣) الإِعْنَانُ : الإِلْهَارَجُ مِنْ أَعْتَنَهُ إِذَا أَحْرَجَهُ وَأَوْتَهُ فِيهَا لَا يُسْتَطِعُ

الْخُرُوجُ مِنْهُ .

فَلَيَخْتَرِ السَّلْمَ عَلَى حَرَبِهِ وَلَيَلْزَمِ الْإِنْصَاتَ إِنْ صَانَهَا^(١)

﴿فصل في الاستفادة﴾

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ
 وَطَرِيقُ الْإِسْتَفَادَةِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةٌ حَتَّى يَكْتُبَ
 مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَادِ، فَقَدْ قِيلَ : مَنْ حَفَظَ فَرَ، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَ^(٢)
 وَقِيلَ : الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لَا نَهْمٌ يَحْفَظُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَ
 وَيَقُولُونَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُونَ، وَسَعَيْتُ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْأَدِيبَ الْإِسْتَادَ زَيْنَ
 الْإِسْلَامِ الْمُرْعُوفَ بِالْأَدِيبِ الْمُخْتَارِ يَقُولُ : قَالَ هَلَالُ بْنُ يَسَارٍ : رَأَيْتُ
 الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِأَخْتَارِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحَكْمَةِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ
 أَعْدَلِيْ مَا قُلْتَ لَمْ . فَقَالَ لِي : هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةٌ ؟ فَقُلْتُ مَامَعِي مَحْبَرَةٌ . فَقَالَ

(١) الإنصات : الإصغاء ، ويريد به السكوت ، إن صانا : أى إن أحدهم صونا وصاح ، فالالف فيه للإشباع

(٢) من حفظ فر : أى من حفظ شيئا فر منه ما حفظه ، ومن كتب شيئا استقر وسكن عنده ما كتبه .

يَاهَلَالُ ! لَا تُفَارِقُ الْمَحْبَرَةَ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيهَا وَفِي أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَوَصَّى
 الصَّدَرُ الشَّهِيدُ حُسَامُ الدِّينِ أَبْنَهُ شَمْسَ الدِّينِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا يَسِيرًا
 مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ ، فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ يَكُونُ كَثِيرًا ، وَأَشَرَّى عَصَمَ بْنَ يُوسَفَ
 قَلَمَّا بِدِيَنَارٍ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ ، فَالْعُمُرُ قَصِيرٌ ، وَالْعِلْمُ كَثِيرٌ ،
 فَيَنْبَغِي إِلَيْهِ يُضِيعُ الْأَوْقَاتَ وَالسَّاعَاتَ ، وَيَقْتِمُ الْلَّيَالِي وَالْمَلَوَاتِ . عَنْ يَحْيَى
 أَبْنِ مُعَاذِ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ : الْلَّيْلُ طَوِيلٌ فَلَا تَقْصُرْهُ بِنَامِكَ ، وَالنَّهَارُ مُضِيٌّ
 فَلَا تُكْدِرْهُ بِأَثَامِكَ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَقْتِمُ الشِّيُوخَ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهُمْ وَلَيْسَ كُلُّ
 مَافَاتَ يُدْرِكُكُ ، كَمَا قَالَ أَسْتَاذُنَا شِيخُ الْإِسْلَامِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ : وَكُمْ مِنْ شِيخٍ
 كَبِيرٍ أَدْرَكَهُ وَمَا أَسْتَخْبِرْتُهُ ، وَأَقُولُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُنْشَأًا هَذَا الْبَيْتُ :
 لَهُنِّي عَلَى فَوْتِ التَّسْلِاقِ لَهُنَّا مَا كُلُّ مَافَاتَ وَيَقْنَى يُلْقَى (١)
 قَالَ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهَهُ : إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَكُنْ فِيهِ (٢) . وَكَفَى
 بِالْأَعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ خَرْزِيًّا وَخَسْلَوًا ، وَأَسْتَعْذُ بِاللَّهِ مِنْهُ لِلَّذِي وَهَارَ ،

(١) يُلْقَى : يوجد (٢) يعني إذا كنت في طلب أمر فتفرغ له واجتهد في تحصيله .

وَلَابْدُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحْمِيلِ الْمَشْفَةِ وَالْمَذَلَّةِ فِي طَالِبِ الْعِلْمِ ، وَالْمُتَلِقُ مَذْمُومٌ
إِلَّا فِي طَالِبِ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ لَابْدُ لِمَنِ اتَّلَقَ لِلْأَسْتَاذِ وَالشَّرِكَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلَاسْتِفَادَةِ
مِنْهُمْ ، قِيلَ : الْعِلْمُ عَزٌ لَأَذْلِلَ فِيهِ ، وَلَا يُدْرِكُ إِلَّا بِذُلٍ لَأَعْزِفَهُ ، وَقَالَ الْقَائِلُ :
أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشَتَّى أَنْ تُعِزُّهَا فَلَسْتَ تَسْأَلُ الْعِزَّةِ حَتَّى تُذَلَّ

﴿ فَصْلُ فِي الْوَرَعِ فِي حَالَةِ الْعِلْمِ ﴾

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيثًا فِي هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِي تَعْلِيمِ أَبْنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ ；
إِمَّا أَنْ يَمْبَهُ فِي شَبَابِهِ أَوْ يُوْقَعُ فِي الرَّسَاتِيقِ (١) أَوْ يَبْتَلَهُ بِخَدْمَةِ السُّلْطَانِ ،
فَهُمَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعَ ، كَانَ عَلَيْهِ أَقْعُنْ ، وَالْتَّعْلِمُ لَهُ أَيْسَرُ ، وَفَوَانِدُهُ
أَكْثَرَ . وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَجْتَرِزَ عَنِ الشَّيْعَ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ ، وَكَثْرَةِ
الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَنْفَعُ ، وَأَنْ يَتَرَحَّزَ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ السُّوقِ إِنْ أَمْكَنَ لَأَنَّ

(١) الرَّسَاتِيقُ جُمْعُ رَسَاتِيقٍ : وَهُوَ الْرِيفُ وَالْقَرْيَ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا
الْحَدِيثَ مُوضِعٌ .

طَعَامُ السُّوقِ أَقْرَبُ لِلنَّجَاسَةِ وَالْخَيَانَةِ، وَأَبْعَدُ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ
الْفَقْلَةِ، وَلَاَنْ أَبْصَارَ الْفُقَرَاءِ تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الشَّرَاءِ مِنْهُ فَيَتَأذُونَ
بِذَلِكَ فَتَذَهَّبُ بِرَبِّهِ

حُكِيَّ أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ رَحْمَةُ اللَّهِ كَانَ فِي حَالٍ
تَعْلِيهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوقِ، وَكَانَ أَبُوهُ يَسْكُنُ فِي الرُّسْتَاقِ وَيَهْيِي لَهُ
طَعَامَهُ وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى فِي بَيْتِ أَبْنِهِ خَبْزَ السُّوقِ يَوْمًا فَلَمْ
يُكَلِّمْهُ سَاخْطًا عَلَيْهِ، فَاعْتَذَرَ أَبُوهُ وَقَالَ: مَا أَشْتَرَتِهِ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ، وَلَكِنْ
أَحْضَرَهُ شَرِيكِيْ . قَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَوْ كُنْتَ تَحْتَاجُتُ وَتَوَرَّعْتُ عَنِ مِثْلِهِ لَمْ يَجْتَرِي
شَرِيكُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَكَذَا كَانُوا يَتَوَرَّعُونَ، فَلَذِلِكَ وَقَفُوا لِلْعِلْمِ وَالنَّشِيرِ
حَتَّى بَقَى أَسْهُمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَوَصَى فَقِيهُ مِنْ زُهَادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبُ عِلْمٍ
فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الْغَيْبَةِ وَعَنْ بُجَالَسَةِ الْمَكْثَارِ (١)، وَقَالَ
إِنَّ مَنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ يُسْرِقُ عُمْرَكَ، وَيُضِيِّعُ أَوْقَاتَكَ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنْ

(١) المكثار: كثرة الكلام.

يُحثِّلَ أهْلَ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي وَالْتَّعْطِيلِ وَيَجُوَرُ الصُّلْحَاءَ فَإِنَّ الْمَجاوِرَةَ مُؤْثِرَةٌ لَا حَالَةَ، وَإِنْ يَمْلِسَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَيَكُونَ مُسْتَنَّاً (١) بِسْتَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَقْتُلُ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَيَحْتَرُزُ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُومِينَ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْفُرْقَةِ، وَكَانَا شَرِيكَيْنِ فِي الْعِلْمِ فَرَجَعَا بَعْدَ سَنِينَ إِلَى بَلَدِهِمَا وَقَدْ فَقَهُ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهِ الْآخَرُ، فَتَامَّلَ فَقْهَاهُمَا الْبَلْدَةَ وَسَأَلُوا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكَرَّرَهُمَا وَجُلُوسَهُمَا فَأَخْبَرُوا أَنَّ جُلُوسَ النَّذِي تَفَقَّهَ فِي حَالِ التَّسْكُرِ، كَانَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ وَالْمِصْرَ (٢) الَّذِي حَصَلَ الْعِلْمَ فِيهِ وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدِرِّاً الْقِبْلَةَ وَوَجَهَهُ إِلَى غَيْرِ الْمِصْرِ؛ فَأَنْفَقَ الْعِلْمَ وَفَقْهَاهُ أَنَّ الْفَقِيهَ فَقَهُ يَبِرَّ كَمَا أَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ إِذْهُوَ السَّنَةُ فِي الْجُلُوسِ، إِلَّا عِنْدَ الْفُرْسُورَةِ وَيَبِرَّ كَمَا دُعَاءَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ الْمِصْرَ لَا يَخْلُو عَنِ الْبَيَادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ عَابِدَيْنَ الْبَيَادِ دَعَاهُ فِي اللَّيْلِ، فَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَا يَتَهَوَّنَ بِالْأَدَابِ وَالسَّنَنِ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَوَّنُ بِالْأَدَابِ يُحْرِمُ السَّنَنَ وَمَنْ تَهَوَّنَ بِالسَّنَنِ حُرِمَ

(١) مُسْتَنَّا : مُتَبَعًا لِسَنَةِ النَّبِيِّ (٢) الْمِصْرُ : الْمَدِينَةُ

الْفَرَاقْضَ وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَاقْضِ حُرْمَ الْآخِرَةَ
وَيَتَبَغِي أَنْ يُكْثِرَ الصَّلَاةَ وَيُعْلِمَ صَلَاةَ الْخَاسِعِينَ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنَ لَهُ عَلَى
الْتَّحْصِيلِ وَالْتَّعْلِمِ

أَشَدَّتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الرَّاهِدِ الْحَجَاجِ بَنْمِ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ مُحَمَّدَ النَّسْفِيِّ :
كُنْ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِ حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَاظِبًا وَمَحَافظًا
وَأَطْلُبُ عِلُومَ الشَّرِعِ وَأَجْهَدُ وَأَسْتَعِنُ بِالْطَّيَّابَاتِ تَصْرُّ فَقِيهًا حَافِظًا
وَأَسْأَلُ إِلَهَكَ حَفْظَكَ رَاغِبًا فِي فَضْلِهِ فَاللَّهُ خَيْرُ حَافِظَاتِ
وَقَالَ أَيْضًا رَحْمَهُ اللَّهُ :

أَطِبُّوا وَجْهُوا وَلَا تَكُسُلُوا وَأَتْمِمُ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُونَ
وَلَا تَهْجُووا بِخِيَارِ الْوَرَى فَلِيَلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُوْنَ (١)
وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَصْبِحَ دَفْرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِطَالَهُ ، وَقِيلَ مَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) لاتهموا : لاتناموا ، رخيار : جمع خير بتشديد الباء المكسورة والورى :
الخلق ، وفي الشعر اقتباس من القرآن .

لَهُ دَفْتَرٌ فِي كُمَّهِ (١) لَمْ تَبْتِ الْحُكْمَةُ فِي قَلْبِهِ. وَيَبْنَى أَنْ يَكُونَ فِي الدُّقَرِ
يَاضُ لِيَكْتَبَ فِيهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْجَالِ، وَيَسْتَضْجِبَ الْمُخْبَرَةَ لِيَكْتَبَ
مَا يَسْمَعُ وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ

﴿فصل فيما يورث الحفظ﴾

وَأَقْوَى أَسْبَابِ الْحَفْظِ الْجَدُّ وَالْمُوَاظَبَةُ وَتَقْلِيلُ الْغَذَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيلِ
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَفْظِ، قِيلَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَزَيدَ لِلْحَفْظِ مِنْ
قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظَرًا (٢). وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا أَفْضَلُ. وَرَأَى شَدَادُ بْنُ
حَكِيمَ بَعْضَ إِخْرَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتَهُ فَقَالَ أَيْ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ أَفْعَمَ؟ قَالَ
قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظَرًا، وَيَقُولُ عَنْدَ رَفِيقِ الْكِتَابِ: بِسْمِ اللَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ عَدَدُ كُلِّ حَرْفٍ كَتَبَ وَيَكْتَبُ أَبْدَ الْأَبْدِينَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ

(١) الْكِمُّ: مَدْخُلُ الْبَدْ وَمَغْرِجُهَا مِنَ الثُّوبِ وَالْمَرَادُ الْجَيْبُ

(٢) نَظَرًا أَيْ تَلَوَّةٌ فِي الْمَصْفَحِ.

وَيَقُولُ بَعْدَ كُلِّ مَكْتُوَةٍ (١) أَمْتُ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْحَقِّ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ . وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ . وَبِكُثُرِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ ، قِيلَ :

شَكُوتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوَهٍ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنْ إِلَهِي وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُهْدِي لِمَعَاصِي
وَالسَّوَاقُ وَشُرْبُ الْعَسْلِ وَأَكْلُ الْكُنْدُرِ (٢) مَعَ السُّكْرِ ، وَأَكْلُ إِحْدَى
وَعَشْرِينَ زَيْبَيْهَ حِزْرًا ، كُلُّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيقِ يُورِثُ الْحِفْظَ وَيُشْفِي مِنْ كَثِيرٍ
مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ . وَأَكْلُ مَا يَقْلِلُ الْبَلْغَمُ وَالرَّطْبُوَاتَ يُزِيدُ فِي الْحِفْظِ
وَأَمَّا مَا يُورِثُ النِّسَيَانَ فَالْمَعَاصِي وَكَثْرَةُ الذُّنُوبِ وَالْهُمُومُ وَالْأَحْزَانُ فِي
أُمُورِ الدُّنْيَا وَكَثْرَةُ الْأَشْغَالِ وَالْعَلَاقَاتِ ، وَكُلُّ مَا يُزِيدُ فِي الْبَلْغَمِ يُورِثُ
النِّسَيَانَ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْمِ لِأَمْرِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ يَضْرِ

(١) مَكْتُوَةٌ : أى صلاة مفروضة

(٢) الْكُنْدُر بضم الْكَافِ وَالْمَدَالِ : نوع من الْمَلَكِ (اللَّبَانُ الْمَذْكُورُ) .

ولainفع وهموم الدنيا لا تخلو عن الظللة في القلب ، وهموم الآخرة لا تخلو عن النور في القلب ، ويظهر أثره في الصلاة ، وهم الدنيا يمنعه عن الخير وهم الآخرة يحمله عليه ، والاشتغال بالصلاحة على الخشوع ، وتحصيل العلم يبني المم والحزن كما قال الشيخ الإمام نصر بن الحسن المرغيناني في قصيدة له :

أعْتَنِ نَصْرَ بْنَ حَسَنَ بِكُلِّ عِلْمٍ يُخْتَرْنَ

ذَاكَ الَّذِي يَنْفِي الْحَزْنَ وَغَيْرَهُ لَا يَوْمَنْ

وقال الشيخ الإمام الأجل نجم الدين عمر بن محمد النسفي في أم ولد له سلام على من تيمى بطرفها ولعنة خديها ولعنة طرفها (١) سبتي وأصبتني فتاة ملحة تغيرت الأوهام في كنه وصفتها (٢)

(١) تيمى : شفقتني جبأ . لعنة الخدين : برقهما ونضارتها ، لعنة طرفها : يقال لعنه بفتح الميم أي اختس النظر إليه ، والطرف : العين والمقصود هنا حسن النظر ورشاقة الالتفات

(٢) سبتي : أسرتني . أصبتني : شاتقني وأهابتني نشوة الصبا . الأوهام هنا بمعنى المقول . كنه وصفتها : حقيقة وصفتها ، وإنما تغيرت المقول في حقيقة وصفتها لأنها ابهرت بجمالها كما تبهر العين بضوء الشمس فلا تستطيع النظر إليها

فَقُلْتُ ذَرِينِي وَأَعْذِرِينِي فَإِتَّيْ شُغْفُتْ بِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَكَشْفِهَا^(١)
 وَلِي فِي طَلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْتَّقَىْ غَنِيَّ عَنْ غَنَائِيَّاتِ وَعَرْفِهَا^(٢)
 أَمَّا أَسْبَابُ نَسِيَانِ الْعِلْمِ فَأَكْلُ الْكُبُرَةِ الرَّطِبَةِ وَأَكْلُ الْفَاحِ الْحَامِضِ
 وَالظَّرِيرِ إِلَى الْمَصْلُوبِ، وَقِرَاءَةُ لَوْحِ الْقُبُورِ، وَالْمُرْوَرُ بَيْنَ قَطَارِ الْجَمَالِ وَإِلْفَاءِ
 الْقَمْلِ الْحَىِ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْجَمَامَةُ عَلَى نُقْرَةِ الْقَفَّا، كُلُّهَا تُورِثُ النَّسِيَانَ
 (فَصَلَ فِيهَا بِجَلْبِ الرِّزْقِ وَمَا يَنْعَمُهُ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمَرِ وَمَا يَنْقُصُ)
 ثُمَّ لَأَبُدُ طَلَابَ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوَّتِ وَمَعْرِفَةِ مَا يَزِيدُ فِيهِ وَمَا يَزِيدُ فِي الْعُمَرِ
 وَالصَّحَّةِ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلْسُّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ صَنَفُوا كُتُبًا
 فَأَوْرَدْتُ هُنَّا بِعِصْمَهَا عَلَى سَيْلِ الْأَخْتَصَارِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: «لَا يُرِدُ الْقَدْرُ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمَرِ إِلَّا الْبَرُّ، فَإِنَّ الرَّجُلَ
 لَيَحْرُمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ».

(١) ذَرِينِي : ازْكِنِي . اعْذِرِينِي : اسْجُنِي لِبِالنَّحْلِ عَنِ الْاِشْتِغَالِ بِمُجْكِ.

(٢) طَلَابُ : طَلَبُ . غَنَاءُ بِكَسْرِ الْعَيْنِ : بِالْتَّلْحِينِ وَالْتَّغْنِيِّ . الْغَنَائِيَّاتُ : الْجَمِيلَاتُ ،
 وَالْعَرْفُ : بِفَتْحِ الْعَيْنِ الرَّاحِمَةُ الطَّيِّبَةُ .

ثَبَّتْ بِهَذَا الْحَدِيثَ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبَ حَرْمَانَ الرِّزْقَ، خُصُوصًا
الْكَذَبَ فِيهِ يُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْوَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ خَاصٌ، وَكَذَا نَوْمُ الصَّبْعَةِ
يَمْنَعُ الرِّزْقَ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُورِثُ الْفَقْرَ وَقَدْدَ الْعِلْمِ أَيْضًا قَالَ الْفَائِلُ :
سُرُورُ النَّاسِ فِي لَبِسِ الْبَلَاسِ وَجَمْعُ الْغِلْمَانِ فِي تَرْكِ النَّعَاسِ

وَقَالَ بِعِصْمِهِ :

أَلَيْسَ مِنَ الْخَسْرَانِ أَنْ لَيَالِيَّا
يَمْرِ بِلَاقْعَمْ وَيَحْسَبُ مِنْ عَمْرِي

وَقَالَ آخِرُ :

قُمِ الظَّلَلِ يَاهْذَا الْعَلَكَ تَرْشِدُ
إِلَى كُمْ تَنَامُ الْلَّيْلَ وَالْمُرْ يَنْفَدُ
وَالنَّوْمُ عَرِيَانًا، وَالْبَوْلُ عَرِيَانًا، وَالْأَكْلُ جُنْبًا، وَالْأَكْلُ مُتَكَبِّلًا عَلَى
جَنْبِ، وَالْهَلَوْنُ بِسُقَاطَةِ (١) الْمَائِدَةِ، وَحَرْقُ قُشْرِ الْبَصَلِ وَالثُّومِ، وَكَنْسُ
الْبَيْتِ بِالْمَنْدِيلِ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي الْلَّيْلِ، وَتَرْكُ الْفَهَامَةِ (٢) فِي الْبَيْتِ :

(١) سُقَاطَةُ الشَّيْءِ : مَا يَسْقُطُ مِنْهُ عَادَةً . الْمَائِدَةُ : الْخَوَانُ ، فَسَقَاطُ الْمَائِدَةِ
مُوْفَقَاتُ الْجَبَزِ وَنَحْوِهِ (٢) الْفَهَامَةُ : الْكَنَاسَةُ .

وَالْمَشْيُ قُدَّامَ الْمَشَايِخِ وَنَدَاءُ الْأَبْوَيْنِ بِأَسْهَمِهَا ، وَالْخَلَالُ بِكُلِّ خَشْبَةِ (١) ،
وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ بِالْطَّينِ وَالْتَّرَابِ ، وَالْجُلُوسُ عَلَى الْعَتَبَةِ وَالْأَتْكَاءُ عَلَى أَحَدِ
مِصْرَاعِي الْبَابِ ، وَالْتَّوْضُؤُ فِي الْمَبَرَزِ (٢) ، وَخِيَاطَةُ التَّوْبَ عَلَى بَدْنِهِ ،
وَتَجْحِيفُ الْوَجْهِ بِالثَّوْبِ ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ فِي الْبَيْتِ وَالْتَّهَاوُنُ بِالصَّلَاةِ
وَالْأَسْرَاعُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَالْإِبْكَارُ بِالذَّهَابِ إِلَى
الْسُّوقِ . وَالْإِبْطَاءُ فِي الرُّجُوعِ مِنْهُ ، وَشَرَاءُ كُسِيرَاتِ الْخَبْزِ مِنَ الْفَقَرَاءِ
الْسُّؤَالُ وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ ، وَتَرْكُ تَخْمِيرِ (٣) الْأَوَانِيِّ ، وَإِطْفَاءُ السَّرَاجِ
بِالنَّفْسِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُورِثُ الْفَقْرَ ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالْأَثَارِ ، وَكَذَا الْكِتَابَةُ
بِالْقَلْمَنِ الْمَعْقُودِ (٤) ، وَالْأَمْتَشَاطُ بِمُشْطٍ مُنْكَسِرٍ ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لِلَّهِ وَالَّذِينَ
وَالْتَّعْمُ قَاعِدًا ، وَالْتَّسْرُوُلُ (٥) قَائِمًا ، وَالْبَخْلُ وَالْقَتْرِيرُ وَالْإِسْرَافُ

(١) الْخَلَالُ : أَيْ يَخْلُلُ أَسْنَانَهُ بِأَيْ شَيْءٍ يَجْعَدُهُ ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَتَخَلَّ بَعْدَ
الْخَلَالِ لِأَنَّهُ رَفِيعٌ وَلَيْسَ مِنْهُ ضَرَرٌ (٢) الْمَبَرَزُ : مَكَانُ التَّبَرَزِ ، الْمَرْجَانِ
(٣) تَخْمِيرُ الْأَوَانِيِّ : تَنْظِيفُهَا (٤) الْقَلْمَنِ الْمَعْقُودُ : هُوَ الْقَلْمَنُ الَّذِي كَسَرَهُمْ
رَبِطُ بَشَنِيَّهُ لِيُكَنْ أَسْتَهَالَهُ (٥) الْتَّسْرُوُلُ لِبَسِ السَّرْوَالِ .

وَالْكَسْلُ وَالْتَّوَانُ ، وَالتَّهَاوُنُ فِي الْأُمُورِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَسْتَرِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » ،
وَالْبُكُورُ مُبَارَكٌ يَزِيدُ فِي جَمِيعِ النَّعْمٍ خُصُوصًا فِي الرِّزْقِ ، وَحُسْنُ الْخَطْطِ
مِنْ مَفَاتِيحِ الرِّزْقِ ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ ، وَطَيْبُ الْكَلَامِ يَزِيدُ فِي الْحِفْظِ وَالرِّزْقِ .
وَعَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « كَنْسُ الْفَنَاءِ ، وَغَسلُ الْإِنَاءِ ،
بَجْلَبَةُ الْفَنَىِ ، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلرِّزْقِ : إِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِالْتَّقْرِيمِ
وَالْخُشُوعِ وَتَعْدِيلِ الْأَرْكَانِ وَسَائِرِ وَاجِبَاتِهَا وَسُنْنَهَا وَآدَابِهَا ، وَصَلَاةُ
الضَّحَىِ فِي ذَلِكَ مَعْرُوفَةٌ مُشْهُورَةٌ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوصًا بِاللَّيلِ
وَقَتَ النَّوْمِ ، وَقِرَاءَةُ سُورَةِ الْمُلْكِ وَالْمَزْمَلِ وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشَى ، وَأَمْ لَشْرَحُ
اللَّكَ ، وَحُضُورُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْاذَانِ ، وَالْمَدَوْمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ
الْفَجْرِ وَالْوَتْرِ فِي الْبَيْتِ ، وَالْأَيْتَكْلُمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدِ الْوَتْرِ ، وَلَا يُكْثِرُ
مُجَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْأَيْتَكْلُمُ بِكَلَامِ الْنَّوْمِ غَيْرُ مُفِيدٍ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ

فِيلَ : مَنِ اشْتَغَلَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ يَفْوَتُهُ مَا يَعْنِيهِ (١) قَالَ بُزُورُ جَهْرُ : إِذَا رَأَيْتَ
الرَّجُلَ يُكْثِرُ الْكَلَامَ فَاسْتَيْقِنْ بِجُنُونِهِ . وَقَالَ عَلَيْهِ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ : إِذَا
يَمْلِأُ الْعُقْلُ نَقْصَ الْكَلَامِ . وَقَالَ الْمُصْنَفُ : أَنْقَلَى هَذَا الْمَعْنَى :
إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ وَأَيْقَنْ بِحُمْقِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا
وَقَالَ آخَرُ :

الْنُّطُقُ زَيْنُ وَالسُّكُوتُ سَلَامٌ فَإِذَا نَطَقَتْ فَلَا تَكُنْ مُكْثَرًا
مَا إِنْ نَدَمْتُ عَلَى سُكُونِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدَمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا (٢)
وَمِمَّا يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُولَ كُلُّ يَوْمٍ بَعْدِ أَنْسِقَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ
الصَّلَاةِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَسَبَّحَهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ
لِلَّهِ، مَاةَ مَرَّةً، وَأَنْ يَقُولَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمَبِينُ » كُلُّ يَوْمٍ
صَبَاحًا وَمَسَاءً مَاةَ مَرَّةً، وَأَنْ يَقُولَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلُّ يَوْمٍ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَلَاثًا وَثَلَاثَيْنَ مَرَّةً، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ
أَيْضًا، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ :

(١) يَعْنِيهِ : يَهْمِه (٢) مَا إِنْ نَدَمْتُ : أَيْ مَا نَدَمْتُ فَإِنْ زَانَهُ .

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِإِلَهِ الْعَالِيِّ الْعَظِيمِ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ وَيَقُولُ يَوْمَ الْجَمْعَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً: اللَّهُمَّ أَغْنِنِي بِحَلَالَكَ عَنْ حَرَامَكَ،
وَأَكْفِنِي بِفَضْلِكَ عَنْ سُوَّاكَ، وَيَقُولُ هَذَا النَّهَارُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةً: أَنْتَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ، أَنْتَ اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، أَنْتَ
اللَّهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ النَّيْبِ وَالشَّهَادَةِ
عَالِمُ السَّرِّ وَالْأَخْيَرِ، أَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالُ، أَنْتَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ
يَعُودُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللَّهُ دِيَانُ^(١) يَوْمِ الدِّينِ لَمْ تَرْزُلْ وَلَا تَرَالْ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللَّهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،
أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ
الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصْوُرُ لِلْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

وَمَا يَرِدُ فِي الْعُمَرِ: الْبِرُّ وَرَكُ الأَذَى، وَتَوْقِيرُ^(٢) الشَّيْوخِ، وَصِلَةُ

(١) الْدِيَانُ: الْقَهَارُ. (٢) تَوْقِيرُ الشَّيْوخِ: تَعْظِيمُهُمْ.

الرَّحِيمُ (١) وَأَنْ يَقُولَ حِينَ يُصْبِحُ وَيَمْسِي كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَلِكَ الْمِيزَانِ وَمُتَهِّي الْعِلْمِ وَمُبْلِغَ الرِّضَا، وَزَنَةَ الْعَرْشِ، وَالْمَحْمُدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَكْبَرُ مَلِكَ الْمِيزَانِ، وَمُتَهِّي الْعِلْمِ وَمُبْلِغَ الرِّضَا، وَزَنَةَ الْعَرْشِ. وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرَّطِبَةِ إِلَّا عِنْدَ الْفَرْدُورَةِ وَإِسْبَاغِ الْوَضُوءِ وَالصَّلَاةِ بِالْعَظِيمِ، وَالْقِرَآنُ بَيْنَ الْحَجَّ وَالْعُمَرَةِ وَحِفْظِ الصَّحَّةِ، وَلَا بَدْ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئاً مِنْ الْطَّبِّ وَيَتَبَرَّكَ بِالْأَثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الْطَّبِّ الَّتِي جَعَهَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَغْرِفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْمُسْتَبِّيِّ بِطَبِّ الَّتِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يَجْدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ وَالْمَحْمُدُ لِلَّهِ عَلَى الْقَيْمَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكَرِيمِ وَأَلَهُ وَصَبَّهُ الْأَيْمَةُ الْأَعْلَامِ، عَلَى مَرَدِ الْدُّهُورِ وَتَعَاقُبِ الْأَيَّامِ آمِينَ.

(١) صَلَةُ الرَّسْمِ : بِالْأَمْلِ وَالْأَقْارِبِ . جَاءَ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَينِ : إِنَّنِي أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، خَلَقْتُ الرَّسْمَ وَشَقَقْتُ لَهُ اسْمَاءً مِنْ لِيْسَ بِهِ ، فَنَّ وَصَلَّاهَا وَصَلَّتْهَا وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ .

وَالْمَحْمُدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا

فهرس	
تعليم المتعلم طريق التعلم	
خطبة الكتاب	٢
فصل في ماهية العلم والفقه وفضله	٣
» « النية حال التعلم	١١
» « اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات	١٥
» « تعظيم العلم وأهله	٢١
» « الجد والمواظبة والهمة	٢٩
» « بداية السبق وقدره وترتيبه	٤٣
» « التوكل	٥٧
» « وقت التحصيل	٦٠
» « الشفقة والنصيحة	٦٠
» « الاستفادة	٦٤
» « الورع في حالة التعلم	٦٦
» فيما يورث الحفظ وفيما يورث النسيان	٧٠
» فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيفه في العمر وما ينقص	٧٣

